

كنز سياحية



مجموعة عربية ١٠٠٪

شعاع من الأرض

في جنوب أفريقيا
بقلم: ألفت باتون

ترجمة: رباح عبد المجيد
مراجعة: عبد الحميد الأسلا مبولي

كتب سياسية

شُعَاع من الأرض

في جنوب أفريقيا

بقلم: ألفت باتون

ترجمة: رياض عبدالم

مراجعة: عبد الحميد

تقديم

لقد أصبحت المشكلات التي تواجه جنوبى افريقية مثلاً لكل المشكلات الميئوس منها ؟ اذ ما الخير الذى يرجى لقطر أنقسم سكانه بشكل واضح الى جماعات كثيرة لاتقبل الوفاق بعضها مع بعض : جماعات البريطانيين والافريكانيين والملونين ؟ والافريقيين ؟ والهنود • ومع ذلك فجنوبى أفريقية من أعظم بلاد العالم ، انه قطر غنى بموارده المعنوية والمادية •

ومؤلف هذا الكتاب من الرجال القيادين فى جنوبى أفريقية ، وهو رجل يتمتع بسمعة عالمية واسعة بوصفه روائياً بارعاً وانسانياً عظيماً •

وفى هذا الكتاب ، يضع الرجل فلسفته السياسية ؛ على عكس سياسة اليأس ، انه يتطلع الى المستقبل من خلال عدسة الماضى والحاضر ويرمق الأمل البعيد أمامه ؛ وليس الرجل متهوراً أو مندفعاً ؛ انه يبين بوضوح وصراحة كيف يمكن التغلب على كل العقبات الهائلة التي تقف فى الطريق ، وذلك اذا ما تيسر ولو نذر يسير من التيسرات الطيبة •

محتويات الكتاب

الفصل الأول	• افتتاحية
الفصل الثاني	• معنى كلمة الأحرار في جنوبى أفريقيا
الفصل الثالث	• مقدم الهولنديين
الفصل الرابع	• مقدم البريطانيين
الفصل الخامس	• قرن الخطأ
الفصل السادس	• يقظة الأفريكانيين
الفصل السابع	• المستقبل الصعب
الفصل الثامن	• العمل داخل البرلمان وخارجه
الفصل التاسع	• دور حزب الأحرار
الفصل العاشر	• الخاتمة
	• معلومات هامة

الفصل الأول

افتتاحية

تتركز السلطة السياسية بأكملها في جنوبي أفريقية في أيدي الجنس الأبيض • ويستثنى من ذلك تمثيل الأفريقين في مجلس الشيوخ بوساطة أربعة من الأوروبيين ، وفي مجلس النواب بوساطة ثلاثة من الأوروبيين يقوم الأفريقيون بانتخابهم ، ويمثل الملونين أربعة من الأوروبيين يقومون هم أيضا بانتخابهم • وفي وقت ما ؛ كان الأفريقيون والملونون الذين تنطبق عليهم شروط الانتخاب في مقاطعة « الكاب » مدرجين في القائمة العامة ؛ وكانوا يصوتون مثل أي فرد آخر ؛ عدا النواب المنتخبين الذين يجب أن يكونوا من البيض ، ولكن الجنرال « هرتزوج » وحزبه المتحد قد تمكن في عام ١٩٣٦ بمساعدة الحزب الوطني الذي يرأسه الدكتور « مالان » من الحصول على أغلبية الثلثين اللازمة لعزل الناحيين الأفريقين في قائمة منفصلة وفي عام ١٩٥٦ حصل المستر « ميريكدوم » وحزبه الوطني على أغلبية الثلثين وذلك بزيادة مقاعد مجلس الشيوخ ؛ ومن ثم فقد عزلوا الناحيين الملونين جانبا •

وعلى هذا ؛ فأننا نجد اليوم ان السكان البيض في جنوبي أفريقية

وجنوب غربى أفريقية يمثلهم فى البرلمان ١٥٦ عضوا ؛ فى حين
يمثل السكان غير البيض سبعة أعضاء ؛ وفى مجلس الشيوخ يمثل
القثنين ٥٨ عضوا ثم على التوالى •

ولا يمثل الهنود فى البرلمان على الإطلاق • وفى عام ١٩٤٦ منح
« الجنرال سمسطى » وحزبه المتحد الهنود تمثيلا رمزيا كذلك الذى
منح للأفريقيين والملونين ، وذلك تعويضا لهم عن القيود التى فرضت
على أراضيهم وممتلكاتهم الخاصة ؛ ولكن الدكتور مالان وحزبه الوطنى
ألغى هذا الحق عندما أمسك بزمام السلطة فى عام ١٩٤٨ ، قبل أن
يباشر الهنود هذا الحق ؛ والذى نشك فى أن الهنود كانوا يستعملونه •

لقد كان الوطنيون ينظرون دائما الى السكان الهنود كغرباء عنهم
أو دخلاء عليهم ، وكانوا يعمدون الى عزلهم بشدة ؛ على أمل أن
يحملهم ذلك على الرجوع الى الهند • ولقد تولدت الاغلبية الساحقة
للهنود فى جنوبى أفريقية كنتيجة للجهود المشتركة التى قام بها
أصحاب مزارع قصب السكر وحكومة ناتال فى النصف الاخير من
القرن الماضى لاحتضار أسلافهم •

وكذلك لم تمثل المرأة الملونة فى مقاطعة الكاب وكل الملونين
من الرجال والنساء فى مقاطعة الترنسفال وأورانج الحرة •

هذا هو الوضع الحالى باختصار • فمن بين ٢٥٢ نائبا ؛ نجد ١١
يمثلون الأفريقيين والملونين ؛ سبعة لمجلس النواب وأربعة لمجلس
الشيوخ ؛ وهؤلاء أيضا يجب أن يكونوا من البيض • وحتى هؤلاء

النواب ليسوا في مأمن ، فمن المحتمل أن تستغنى الحكومة في تطبيقها
لسياسة الحكم المخلّ عن النواب الوطنيين السبعة جميعهم ؟ وقد عبرت
الجهات العليا عن رغبتها في القيام بذلك .

ومما يدعو الى الدهشة والتساؤل : هل هؤلاء النواب الملونون
الأربعة في مأمن ؟ اذا أحرزت التفرقة العنصرية بالنسبة للسكان
الملونين أى تقدم ؟ اذ ربما تكون لهم سلطتهم الخاصة في يوم ما ولا
سببا وقد كانت لهم ادارة لشئون الملونين من قبل . فضلا عن ذلك
فكثير من البيض في جنوبي أفريقية لا يرون من المحتمل أن يمسك
أربعة من النواب الملونين بميزان القوة في مجلس النواب . ومن
الممكن أن نعتبر اذن ، أن برلمان جنوبي أفريقية سوف يضم النواب
البيض في يوم ما ؟ والذين يمثلون السكان البيض وحدهم . ذلك
هو اتجاه السياسة المعاصرة ان لم يكن هدفها .

وكيفما يكن الأمر ؟ فان عددا كبيرا من البيض في جنوبي
أفريقية يدركون ان هذا الوضع غير مستقر . ويسعى الحزبان
الرئيسيان الى تثبيت هذا الوضع بشتى الطرق والآن فلنستعرض
باختصار سياستهما .

لقد تبنى الوطنيون « الأفريكانيون » سياستين على الأقل
ويتصرف الوطنيون على افتراض انه من المستبعد كلية والى الأبد ،
أن يتساوى البيض وغير البيض في الحقوق داخل المجتمع نفسه ،
ومن ثم فانهم يتأرجحون بين سياستين . الاولى وتسمى « النمو

المنفصل « أى ضمان المساواة بوساطة استشارهم كلية بمناطق منفصلة خاصة بهم ؛ ويحمل لواء هذه السياسة المثاليون والمثقفون • والثانية وتسمى « باسكاب » ؛ وهى تعنى بوضوح سيادة الجنس الأبيض ؛ ويرى مؤيدو هذه السياسة ان العزلة الاقليمية غير ممكنة ؛ وان حضارة البيض ؛ سوف تعيش فقط اذا ما حاربوا من أجلها وفي الوقت نفسه يؤيد عدد كبير من الوطنيين قوانين «الباسكاب» وذلك لأنهم يعتبرونها خطوة بعيدة المنال فى طريق العزلة الاقليمية ؛ وتراها بعض السلطات هدفا من المحتمل عدم الوصول اليه بعد مائة عام أو يزيد ومن ثم يعيش كثير من الوطنيين فى عالمين : السكوت على الظلم فى هذا العالم الموجود ؛ حتى يكون هناك عدل فى العالم الآخر الذى لم يظهر بعد الى الوجود •

والحزب الثانى الكبير هو الحزب المتحد ؛ الذى حصل فى ١٦ من أبريل عام ١٩٥٨ على نصف أصوات القطر وعلى ثلث المقاعد فقط ويمثل هذا الحزب الغالبية العظمى من الناطقين باللغة الانجليزية ؛ وجزءا قليلا من الافريكانيين الذين يرثون تقاليد «بوتاه» و «سمطس» القديمة عن التعاون والوفاق ومن الممكن أيضا ان يقال عن هذا الحزب انه يتبع سياستين لا تتفقان تماما ؛ ومع ذلك فانهما تندمجان فى سياسة واحدة « فى ميثاق خماسى » هى التفرقة مع العدالة • وهو حزب دينى ؛ سوفسطائى يؤمن بالقرارات النوعية ؛ ويؤمن بالقبول (الواقعى) للوضع الحالى ؛ والتكيف مع الأحداث الجديدة بشكل تقدمى ؛ • من ثم ففى استطاعة زعمائه ان يتصوروا أنفسهم كزعماء

للقارة الأفريقية ؟ فى الوقت الذى يفكرون فيه الى الارتباط السياسى والاجتماعى بالأفريقيين فى بلدهم •

وهناك حزب صغير توارى فى انتخابات عام ١٩٥٨ وهو حزب العمال المتحد وقد سحق الحزب المتحد زعيمى هذا الحزب ؟ وهما المستر الكس هيسل مرشح روز تينفيل والمستر ليولوفيل مرشح بينونى ؟ اللذان يتسمان بالشجاعة والتقدمية ؟ لانهما قررا عدم الانضمام الى ذلك الحزب المتحد وتبين الاصوات التى حصل عليها كل من الرجلين « المستر هيل ٩٧٤ صوتا والمستر لوفيل ١٦٩٦ صوتا » حقيقتين هامتين : أولا هما ؟ أن ناخب الحزب المتحد لا يؤيد الأفكار التقدمية ؟ وثانيتهما ؟ قلة عدد الناخبين التقدميين من البيض •

واذا ما قارنا مجموع الاصوات التى حصل عليها رجلا حزب العمال بما حصل عليه زعماء حزب الأحرار فى أقاليم الأورانيج وبيتر مارتيزبرج ونقطة البحر وجدنا أن عدد ناخبهم يصل الى ما يقرب من ١١٠٠٠ فرد • ولكن تمت حقيقة مهمة يجب أن نتذكرها ؟ وهى أن هذه هى المرة الأولى منذ الوحدة (١٩١٠) التى وضعت فيها الأفكار الحرة والتقدمية أمام الناخبين • وفى هذه الفترة توارى العمال • لقد كان ذلك أمرا لا مفر منه ؟ فأعضاء الحزب كانوا من البيض كلهم ؟ فى حين كان كل العمال من السود تقريبا •

وبينما توارى حزب العمال ؟ ظهر حزب الأحرار فى هذه الفترة • واليوم نجد أن حزب الأحرار هو أقل الأحزاب تأثيرا بالنجاح الساحق الذى يحرزه الحزب الوطنى فى الانتخابات • فهو

لا يتوقع أى تحسين فى الموقف وهو يعتبر أن الوطنية والحرية هما
المسألة الحقيقية المطروحة أمام الناجب الأبيض * والحزب لا يتوقع
أى تأييد ملحوظ من الناجين ؟ وذلك لأنه يناضل من أجل مجتمع
مشترك تكافاً فيه الفرص للجميع ؟ وهو هدف لا يقبله كثير من
البيض فى جنوبى أفريقية فى الوقت الحالى ؟ لأنهم يرتعدون خوفاً من
أن يكتسح الوطنيون الرجل الأبيض أو يطرده .

هل سيقبل الناجون هدف هذا الحزب فى وقت ما ؟ وهل يعد
البيض فى جنوبى أفريقية أنفسهم لدخول معقل الحزب الوطنى ؟
حيث تدور المعركة التى ستؤدى بهم الى الموت ؟ وهل هناك أى أمل
للاجراء ؟ من أجل مجتمع مشترك يعمل فيه الجميع ؟ مجتمع يكفل
حرية الفرد وحكم القانون أو هل سيبدل حكم الجنس الأبيض بحكم
الجنس الأسود ؟ وإذا ما حدث ذلك ؟ فهل سيأخذ الجنس الأسود
بالثأر ؟ أو هل سيكون الجنس الأسود - نظراً لعدم خوفه من أن
يكتسح - أعدى مع الجنس الأبيض عما كان عليه الجنس الأبيض معه ؟
هذه هى الاسئلة التى سيحاول هذا الكتيب ان يبحث عن
اجابة لها .

الفصل الثاني

معنى كلمة الاحرار فى جنوبى أفريقيا

من الحكمة فى البداية أن نشير الى المعنى الخاص الذى يرتبط بكلمتى « الاحرار » و« مذهب الاحرار » فى جنوبى افريقية . فمذهب الاحرار فى جنوبى افريقية ؟ ولو أنه يشترك فى نقط معينة مع مذهب الاحرار فى الاقطار الأخرى ؟ ومع أن مبادئه هى مبادئ الاحرار فى كل مكان الا أنه يختص بصفة عامة ؟ هى اهتمامه الخاص بالعدالة بين الأجناس فمن الحرية فى جنوبى افريقية أن نطالب بأن يكون للمثقفين الافريقيين صوت انتخابى ومن الحرية أيضا أن نطالب بأن يشارك كل الافريقيين مشاركة كاملة فى عملية الحكم .

ومن الحرية أن نطالب بالسماح للتجار الهنود بأن يقوموا بتجاريتهم فى أية مدينة ؟ ومن الحرية أيضا أن ندفع أى نوع من الظلم الذى يقع على رجل غير أبيض . وقد كان من الحرية فى النصف الاول من القرن الماضى أن نطالب بحماية العبيد والخدم من بطش أسيادهم القساة .

ومن ثم فقد اتخذت كلمة « الحرية » فى جنوبى افريقية معناها

الخاص ومن الممكن استعمالها بـمعانٍ أخرى ، بما في ذلك المعاني التي توصل إليها الناس من قبل في أقطار أخرى ، ولكن هذا التحول في جنوبي أفريقية ربما يحتاج الى توضيح .

ورجل الاحرار يمتدح كلمة « الحرية » بالطبع عندما يستعملها فهي ربما لا تعني شيئاً أكثر من أن شخصاً أبيض يناضل من أجل رفع القيود عن الأشخاص غير البيض ، شخصاً لا تغل عادات الاصل وتقاليد الجنس يديه وقدميه ؛ شخصاً على استعداد لان يقبل قدراً متزايداً من تطبيق العدالة في المجتمع لا مجرد فكرة العدالة فحسب . وعلى العموم فانا نجد أعضاء حزب الأحرار البيض أكثر استعداداً للاختلاف عن الأحرار خارج الحزب وهم على العموم يؤيدون المساواة في الفرص والظروف بين البيض وغير البيض بالرغم من أن بعضهم يصرون على وجود فترة انتقالية للوصول الى هذه المساواة .

ولكن يوجد هناك أحرار آخرون ليسوا من البيض ، ومن ثم فانهم يؤيدون شيئاً أكثر من حق المساواة بين البيض وغير البيض انهم يؤيدون حقوق كل البشر ويدافعون عما يسعى بالحرريات الأساسية للرجل ، ضد القانون أو البوليس أو البرلمان أو الحكومة . ووجود هؤلاء الأشخاص في منظمة للأحرار ذو قيمة لا تقدر ؛ وذلك لأن مذهبهم ينبع من تجارب مختلفة للحياة .

ومذهب الاحرار « اذا ما نظر اليه من أي من هاتين الوجهتين » فهو ثمرة نضال الرجل الفرد ؛ انه متيقظ للدفاع عنه ضد

أى اعتداء على حقوقه وحرية ؛ وهو يتوق الى خلق مجتمع تكون فيه الحياة ذات صبغة انسانية •

وفضلا عن ذلك ، تحمل كلمة « الحر » بالنسبة لليبيض من أعداء مذهب الاحرار فى جنوبى أفريقية معنى آخر . وهو معنى وضع يحمل وصمة « التفكك » و « الاهمال » و « الهرجلة » فرجل حزب الاحرار ربما بدا لبعضهم مجرد شخص يدافع عن فلسفة مخطئة ؛ وبالنسبة للآخرين يعتبر شخصا فقد ذاته وأصبح لاوجود له لأنه يدافع عن كل الأشياء لكل الرجال ، فهو اذن رجل فقد نوعيته وجنسه وذاتيته ، رجل فقد كبريائه لانه يصبح ذلك الرجل المعين الذى أراد الله له أن يكون ، وأراد له امتلاك لغته الخاصة أو ثقافته الخاصة لكي يحمى هذه الخصائص ويدافع عنها ويستشهد من أجلها •

ولذلك فثنا نجد ان الرهبان والراهبات البيض فى جنوبى افريقية يستطيعون بسهولة ان يكرهوا وان يحتقروا مذهب الاحرار؛ وأن ينظروا اليه لا باعتباره مذهباً يؤيد العدالة بين الأجناس ؛ ولكن باعتباره فلسفة للتدهور فلسفة أولئك الذين اختاروا الطريق السهل للاختلاط بلا تمييز ، بدلا من حماية « ذاتيتهم » كما يعنى الله • ومن المتوقع اذن ان يتهموا هؤلاء الاحرار البيض بالاهمال فى حياتهم ؛ وبالعبت الجنسي ؛ أو الاستعداد للسير فى هذا الاتجاه ، وعلى وجه الخصوص الاحتقار العنصرى للجنس واللون • ومن

المتوقع أيضا ان تأتي هذه الاتهامات الموجهة ضد الاحرار فى
الغالب من أفقر معارضيهم البيض وأقلهم ثقافة .

ان هذا الإهمال من جانب الاحرار ينطبق على المسائل الدينية
أيضا ، هذا هو مايقوله أعداؤهم ، ان كون الشخص « حرا » فى
المسائل الدينية ؛ وكونه يعرف ويحب أشخاصا من ديانات أخرى
أو ممن لا دين لهم ؛ يجعلهم يتهمون بالالحاد أو « اللادينية » ، ولكنه
اذا ما كان متدينا فانه سيشغل بآله « بجب » الله ؛ ويراقبه فى كل
أعماله .

ولكلمة « الأحرار » معنى آخر يستعمله الأعداء الأكثر تطرفا؛
ويرتبط هذا المعنى المضاد عموما بالأحرار البيض ؛ حيث أن الأحرار
الآخرين ينظر اليهم كأشخاص أغبياء مخدوعين . فان كونك من
الأحرار يعنى عند هؤلاء النقاد أنك ضيف مهادن ؛ أو أنك لاترغب
فى أن تقوم بأية توضحية حقيقية من أجل هذه المثل النبيلة ؛ أو أنك
لاتريد مواجهة المستقبل القاسى المرير للصراع القاسى المرير ؛ أو أنك
انسن منافق لا تهتم بالعدالة ولكنك تهتم بنفسك وحدها أو أنك
تحاول بقصد أو بغير قصد ؛ أن تثلج جدة المقاومة للسود ؛ وذلك
يجذب المحاربين الى مغاور الحب . . .

ولسوف تحاول هذه المقالة أن توضح للقارىء الأسباب
التاريخية للمعانى الخاصة التى اكتسبتها كلمة الاحرار ومشتقاتها
الأخرى فى جنوبى افريقية . وسوف تحاول أن تسرد تاريخنا

موجزا لجنوبى أفريقية بدونه لايمكن ان نفهم الموقف الراهن فى تلك البلاد • وسوف تحاول من وجهة نظر الأحرار أن تستعرض الحاضر ، وأن تكشف المستقبل • انها سوف تستعرض الأحرار من حيث موقفهم ومهمتهم وماضيهم ومستقبلهم فى جنوبى افريقية ثم التحديات الخطيرة التى واجهتهم ، دون ان تغفل المقالة ذلك الدور الذى يساهم به الأحرار ممن لايرتبطون بالحزب أو ممن لايشغلون بالسياسة ومع الحرص على تقديم وجهة نظرهم بوضوح ، فان المقالة كلها سوف تصور وجهة نظر انسان معروف لحزب الأحرار ، انسان يعتقد انه من الأفضل للحزب ان يمثل قضية الأحرار •

الفصل الثالث

مقدم المهولنديين

من الممكن أن يكون السرد الموجز لتاريخ جنوبى أفريقية ؛
وخصوصا عندما يقوم غير المؤرخين بكتابته ، عرضة لكثير من النقد
ومع ذلك ، فليس هناك طريق آخر كى نسلكه . اتنا لانستطيع أن
نستغنى عن التاريخ ويجب أن يكون هذا التاريخ موجزا .

وبالنسبة لكل الأقطار فى نظرى ، لايمكن أن نفهم سياستها
تماما نالم نعرف تاريخها . وفيما أظن ، ينطبق ذلك على جنوبى
أفريقية أكثر من معظم البلدان الأخرى ، والا فمن الصعب أن نفهم
العلاقة الباردة بين رجال جنوبى أفريقية الذين يتحدثون بالإنجليزية
والأفريقية ؛ أو ان نفهم المزيج من الجوف والإشبهتزاز والواجب
والعدالة والاحسان ؛ والذي يميز موقف البيض فى جنوبى أفريقية
تجاه غير البيض ؛ والشك العميق الذي يميز موقف غير البيض
تجاه البيض .

ومع ذلك ؛ فأننى أستمع القارىء عذرا فى البداية لهذه العجالة
التاريخية المقتضية ؛ التى ضحت بالتفاصيل من أجل الموضوع . ولكننى

فى الوقت نفسه سادافع عنها ؛ لآئنئ أجد فى الكفاية فى ظل كل الظروف •

نسب هيرودوت - مؤرخ الآثار المشهور - الى « تنجو » الذى حكم مصر ؛ قبل الميلاد بستمائة عام ؛ أنه أرسل المكشفين عن طريق الساحل الشرقى لافريقية ؛ وأمرهم بأن يبحروا حول القسارة وأن يعودوا عن طريق البحر الأبيض • وقد فعل الرجال ذلك وعادوا الى مصر بعد سنوات ثلاث • ونحن نظن أن هؤلاء البحارة هم أول من شاهدوا « جبل تيل » من البحر •

وبعد ذلك بألفى عام أى فى عام ١٤٨٦ م اكتشف «الكاب» فى هذا العام وصل بارثولومى دياز • الذى أرسله الملك جون ملك البرتغال؛ الى خليج الجوا (بورت اليزايت) • وعند ابصاره فى طريق العودة رأى الكاب والذى أسماه « حسبما يقول البعض » برأس العواصف ؛ ولكن الملك جون • عندما تكهن بأن الطريق الى الهند سيكون فى قبضته • أعاد تسميته « برأس الرجاء الصالح » • ولقد كان الملك محققا فى نظريته • اذ سار فاسكو داجاما فى عام ١٤٩٧ خلف الكاب المسمى برأس ناتال • وزار موزامبيق وشق طريقه الى أن وصل الى الهند •

وفى عام ١٥٠٣ وصل انطونيودى سالواتا خليج تيل بالفعل ؛ وكلنا يعرف أن سفينه كانت أول سفينة ترقد تحت الجبل العظيم على الإطلاق وكان أول رجل أبيض بالتأكد يتسلق الجبل ؛ وكان هو الذى سماه بجبل تيل •

وفي عام ١٥٨٠ دار السسير فرانسيس دريك حول الكاب ،
ووصفه « بأجمل رأس في كل أرجاء الأرض » وفي عام ١٦٢٠
نسب الكابتن شلنج وقتز هربت الكاب الى الملك جيمس ، ولكن
الملك رفض أن يوافق على ذلك •

وفي غضون ذلك آلت قوة البرتغال الى الزوال ؛ وفي عام ١٦٠٢
أسست شركة الهند الشرقية الهولندية لكي تقوم بأعمال التجارة مع
بلاد الهند والشرق • وفي عام ١٦٥٢ وجدت الشركة من الضروري
أن تقيم محطة تموين في الكاب ، حيث يمكن زراعة الحضر وذلك
بمحااربة مرض الاستقربوط الفظيع وهناك يترك المريض للعناية به
ويمكن البحارة المسافرين الى الشرق أن يتركوا خطاباتهم لكي تصل
الى هولندا في أول باخرة راحلة •

ولم يكن سكان الكاب الوطنيون كثيرون العدد • كانوا ينقسمون
الى الهوتينتوف والبوشمن فأما الهوتينتوف فقد كانوا أناسا بدائين
يعملون بالرعي أثر بعضهم حياة الاستقرار الجديدة • أما كخدم أو
كأناس يمدون السفن المارة باللحوم ، في حين ابتعد البعض عن هؤلاء
الدخلاء وشقوا طريقهم في داخل القارة عن طريق الشمال والشمال
الشرقي • وأما البوشمن فقد كانوا أكثر بدائية ، قصيري القامة
واشتهروا بالصيد بالسهم المسمومة • وهم يعيشون - عندما لا يستطيعون
الحصول على اللحوم - على الفواكه البرية والحشرات ؛ والجذور •
وهو أيتهم السطو على قطعان الآخرين ؛ وكما طاردوا الهوتينتوف في

الماضي ؟ يدعوا الآن فى مطاردة قطعان الرجل الأبيض وممتلكاته الأخرى • وكانت حضارة الرجل الأبيض شديدة الغرابة بالنسبة لهم حتى أنهم لم يحاولوا أن يحتكوا بها • ومن ثم فقد كان مصيرهم القتل اثر هجماتهم ؟ مما دعاهم الى الانسحاب أكثر فأكثر الى كهوف الجبال • وكلما تقدم الرجل الأبيض تقهقروا أبعد من ذلك فى الصحراء واليوم يعيش نفر قليل منهم فى كلهارى ، حيث تحميهم الحكومة البريطانية بطريقة تشبه الى درجة كبيرة حماية الحيوانات فى كروجربارك •

لم تكن شركة الهند الشرقية الهولندية تهدف فى البداية لأن يصبح المقر الجديد مستعمرة • ومع ذلك فانها لم تفلح فى الزراعة لحسابها ؟ وفى عام ١٦٥٧ سمحت لتسعة من رجال المدينة أن يقوموا بالزراعة على نفقتهم فى مدينة ونديوش ؟ ولكنها فرضت عليهم قيودا كثيرة مملة •

وقد ضاق هؤلاء الرجال ذرعا بحكم الشركة وبدعوا ينظرون اليها كسلطة غريبة لها مصالح تختلف عن مصالحهم ؟ وفى بعض الاحيان تناقض معها وكلما ابتعد هؤلاء الرجال أكثر فأكثر عن مدينة الكاب ، ازداد وضوح هذا التناقض ، وأصبح عاملا متكررا فى الفترة التاريخية التى أعقبت ذلك •

وكانت الشركة تدفع أجورا ضئيلة لمن يعملون بالزراعة ؟ حتى

انها في محاولتها تخفيض تكاليف الانتاج استوردت في عام ١٦٥٨
أول دفعة التقليل من هذه الهجرة ؟ ولكنها لم تفلح • وقد جعلت هذه
الحياة القاسية الطليقة من البوير أناسا يعتمدون على أنفسهم ولا يطيقون
إشراف أحد عليهم لانهم يعشقون حياة الاستقلال والحرية •

وكان هناك - حتى في هذا الوقت المبكر - انقسام ملحوظ بين
التريكبوير وسكان مدينة الكاب • وكانت الفئة الأولى تمثل سكان
أفريقية ؟ والفئة الثانية هم الى درجة كبيرة من سكان أوروبا ؟ أي
الذين لا يزالون يحتفظون الى درجة كبيرة بعادات أوروبا • وقد غدا
هذا الانقسام أكثر وضوحا بسبب الهجرة الكبرى التي حدثت في
عام ١٨٣٦ ؟ حتى أننا نتكلم الى يومنا هذا عن الاختلاف بين العادات
الافريكانية في كل من الكاب والترنسفال • ونحن نغني بذلك ؟ من
بين أشياء أخرى ، أن موقف الترنسفال تجاه قضية الجنس أكثر
عزما وصلابة • وهاتان هما الصفتان اللتان تميزان - كما رأينا -
طبيعة سهول « الكارو » وربما نلاحظ أيضا أن علاج هذا الانقسام
بين الافريكانيين ؟ كان مرجعه للجهود التي قام بها في الفترة الأخيرة
رجال مثل « رودس وملتر » أعظم رجلين من بين كل هؤلاء الذين
ساهموا في خلق الوحدة الافريكانية •

كان من الممكن أن تؤدي حياة العزلة والوحشة الى النكسة وقد
فعلت ذلك في بعض الأحيان ؟ ولكن الدين كان له أثره الفعال بين
الناس وبالرغم من أن الكنيسة ؟ مثلها مثل الشركة • قد لاقت صعوبة
في أن تظل على اتصال بالمهاجرين فقد كان الكتاب المقدس هورفيقهم

الدائم ؟ وكانت قراءة الاسفار عند الصلابة من المستلزمات اليومية
لحياة العائلة . وقد جذبتهم قصص البطارقة المهاجرين بوجه خاص ،
أو كانت أكثر توافقا مع حياتهم التي تتسم بالقسوة والوحدة •

وأما بالنسبة للأرض نفسها ؟ برحبها واتساعها - بواحاتها
الخضراء الرطبة التي تقوم وسط الحرارة والصخور والأشواك ،
فقد وهبوا لها حبا يفوق الوصف • لكم كان الفرق شاسعا بينهم وبين
أوربا • وكم كانت الهوة شاسعة بين سهول الكارو وبين أراضي
هولندا التي تترقق فيها جداول المياه ! لقد كان الحصان ، والسرّج ،
وقعقة السلاح ، وقطعان البقر الوحشي التي تجرى فوق الأراضي
الممتدة ، والسهول المنبسطة ، والشمس المشرقة ، هي حياتهم الجديدة .
ومع ذلك فلا يمكنك أن تجد أو تعثر على إشارة واحدة منها في كل
البصور التي تشاهدها معلقة في منازل أمستردام •

في حوالي عام ١٧٧٠ كان هناك ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ نسمة
من البيض في الكاب ، وما يعادل ذلك تقريبا من العبيد • وكان تسعة
أعشار هؤلاء البيض من سكان المدن ؟ يعيش نصفهم في مدينة الكاب
وفي الوديان الجميلة التي ترقد خلف منازل المدينة ، والنصف الآخر
وهم التريكبوير الذين تحدثنا عنهم • وقد تبعثر الهسوتيتوف
والبوشمن قبل تقدمهم ، ولكنهم بدعوا الآن في مواجهة متاعب جديدة ؟
حيث زحفت قبائل الباتو ببطء صوب الجنوب ووقعت معركة ، تعتبر
من الأحداث البارزة في تاريخ الافريكانيين • وقد حاول الحاكم
فان بليتنبيرج في عام ١٧٧٨ - بعد أن تشاور مع بعض زعماء قبائل

الأوسا الصغيرة - أن يحل المشكلة بإعلانه عن نهر السمك كحد
للتوسع صوب الشمال . ولكن هذا الاتفاق قد فشل مثل كل اتفاق
حمائل أتى بعد ذلك ؟ وذلك لأنه لم تكن هناك حكومة مركزية من
السود للتعامل معها ، ولأن كلا من البوير والأوسا كانوا يملكون
القطعان ، ومن ثم فقد كانوا يتعطشون الى الأراضى الجديدة .
وبالرغم من أن رجال الأوسا لم تكن لديهم لغة للكتابة أو خبرة
تكتيكية ؟ إلا أنهم كانوا من المحاربين الأشداء ، وكانت لغتهم غنية
ولديهم نظام واضح من القوانين والعادات . ومن المعتقد أنهم وصلوا
الى ما يسمى اليوم بمقاطعة الكاب الشرقية في أواخر عام ١٥٠٠ ؟
وأنهم لو وصلوا الى رأس الرجاء الصالح بطريق مباشر لما تعرض
لهم البوير الآن .

ولقد ظلت الحدود التى رسمها فان بليتبريج غير منيعة ؟ ومن
ثم فقد كان الاشراف على الأراضى النائية خارجا عن نطاق اشركة
المحدودة وقوة هولندا التى كانت فى طريقها الى الزوال . وكان
الرجال يعبرون نهر السمك اما لسرقة الماشية أو لاستردادها ؟ أو
للتبادل ؟ أو العمل ، أو الصيد ومن السهولة بمكان أن يستبع عمل
الفرد توريط الجماعة كلها . وكانت هناك باستمرار متاعب ؟ وغارات
وسرقات ، وثور . وكان يحدث فى بعض الأحيان أن يرجع الفلاح
الى بيته من رحلته لكى يجد كل عائلته قد قتلت ؟ وأن منزله قد
أحرق ؟ وأن ماشيته قد سرقت ، وما زالت الآثار البشعة لهذه
الحوادث موجودة على خوائط بعض منازل الأفريكانيين ، وهى تعيد

الى الأذهان ذكريات أيام العداء المرير بين السود والبيض • وقد
أفلت زمام الموقف اذ طرد البوير الحاكم مينيير لأنه كان يكابر في
تطبيق حكم القانون • وفي عام ١٧٩٥ أقام البوير في منطقة جرافه
رينيت « حكومتهم الخاصة » وتبعهم البوير في منطقة سويليندام بعد ذلك
بأربعة أيام • وقد سادت البلبلة كل مناطق الحدود • وأخذ البوير
يتربصون الخلاص زويدا زويدا في أي مكان آخر الا في أنفسهم •

وهكذا أصبح الكفاح من أجل البقاء على أرض القارة التي
تنذر بالخطر هو فكر التريكيوير الشاغل • والهدف الرئيسي لحياتهم •
لقد كان عداؤهم للرجل الأسود مريرا وقاسيا ، وكذلك كان عداؤهم
الرجل الأسود لهم • والعلاقة بين الرجال البيض والرجال السود •
وأكثر من ذلك أن العلاقة بين الرجال البيض والنساء السوداوات
لا يمكن إلا أن تكون علاقة السيد والخدام • أو العدو والعدو •
ويستطيع البوير فقط أن يعيش في عزلة • وفي التفرقة العنصرية
فقط يتجسم ذلك الأمل ، ولأولاده ، ولجنسه • وأكثر من
ذلك • فإن لغته المكتوبة • وخبرته الفنية الممتازة • وامتلاكه لأشياء
مثل البنادق • والعربات • والانجيل قد أقنعته بالطبع بامتيازته على عدوه
الوثني الذي يعبد الأصنام •

وفي سبتمبر عام ١٧٩٥ • استولى الانجليز على الكاب • وورثوا
مشكلات الحدود وكان في المستعمرة في ذلك الوقت حوالي ١٦٠٠٠
نسمة من البيض وحوالي ١٧٠٠٠ من العبيد • وقد امتعت «جرافه

رينيت وسويليندام عن التسليم للحكومة الجديدة • لأنهما لا تتوقعان
منها أن تكون أفضل من سابقتها وقد منع القائد البريطاني البوير من
تخطي الحدود • وهكذا بدأ القرن التاسع عشر الذي اتسم بالمتاعب •
والذي كان الجنرال « سمطس » يسميه بقرن الخطأ •

الفصل الرابع مقدم البريطانيين

كان قدوم البريطانيين الى الكاب في عام ١٧٩٥ (وأخيراً في عام ١٨٠٦) هو الحدث العظيم الثاني في التاريخ الأفريقي • فلقد كان البريطانيون هم الذين فرقوا هذه الجهود المشتتة ، وهم الذين جمعوها مرة أخرى • ولا يعني ذلك أننا ننكر الدور الذي قام به الأفريكانيون في تحديد مصيرهم ؛ ولكننا نؤكد الدور الذي قامت به بريطانيا كعامل خارجي •

ولقد قيل ان الأفريكانية لا يمكن أن توجد دون وجود أعدائها ، وأن هؤلاء الأعداء كانوا اثنين من حيث العدد ، هما « البريطانيون والباتو » ولئن كان هذا التعميم معيباً ، فإنه انما يحمل بين طياته الحقيقة الصادقة • فرجال جنوبي افريقية الذين يتحدثون الانجليزية يدعون في بعض الاحيان من أحاديث السينسين الأفريكانيين ؛ الذين يكشفون فيها عن هيكل الأمبريالية البريطانية وقرعون عظامها وهو ما يؤدي في الوقت نفسه الى رجة دم الناحيتين وحرارته • وهتاك من الدلائل ما يشير الى أن الهيكل (النظام) يفتقد قوته وأن ثمة أعداء

آخرين من الخارج يأخذون مكانه مثل : الرأى العام العالمى
والأمم المتحدة ؛ والشيوعية ؛ والمستر نهرو ؛ والامبريالية
الأمريكية الحديثة والزفوج الانجليز ، والصحافة البريطانية ،
والكنيسة الانجليزية . ومن صفات القومية الافريكانية أنها تحتاج الى
هؤلاء الأعداء ؛ حتى ولو كانت لا ترغب فى القيام بذلك .

وقد تبع وصول البريطانيين الى الكاب توسع عظيم فى
نشاط الارساليات ، وكما يمكن أن تتوقع ، كان موقف الارساليات
تجاه الهوتينتوف والأوسا لا يشابه موقفهم تجاه الفلاحين ،
فبالنسبة لهم كان هؤلاء السكان المحليون أرواحا يجب هدايتهم
الى طريق الخلاص . وأما الفلاحون فقد كانوا ينظرون الى
الارساليات بدورهم كرجال يقومون بالتعليم والخدمات
الاجتماعية التى لا يهتمون بها كثيرا . ولو أنهم كانوا يهتمون
فى بعض الاحيان بسعادتهم الروحية .

وكان موقف رجال الادارة البريطانيين — بالرغم من عدم
مشابھته لموقف الارساليات — يختلف عن موقف مستوطنى
المستعمرات . فبينما لهم يقيم رجال الادارة فى البداية بالحد من
حقوق ملاك العبيد ، إلا أنهم أيدوا الحق الخدم والعبيد فى
المعاملة الحسنة ، وقد شكلت المحاكم للنظر فيما إذا كانت هذه
المعاملة تقدم أو لا . وكانت الدائرة السوداء المشهورة فى عام
١٨١٩ ، من النتائج المبكرة لهذا النظام ، حيث وجهت التهم الى عديد
من الفلاحين البيض كنتيجة للشكاوى التى قدمها الملونون

ضدهم • ومن الممكن أن تقول أن ثمة فكرتين جديدتين قد دخلتا « الكاب » في هذا الوقت ؟ أو أن فكرتين قديمتين قد ظهرت فجأة الى الوجود مرة أخرى ، وهما المساواة بين كل الرجال أمام الله ؟ والمساواة بين كل الرجال أمام القانون •

ومن ثم فقد عاش الموظفون من رجال الإدارة ، ومستوطنو المستعمرات والارساليات في علاقة ثلاثية يسودها الاضطراب • وكان على الموظفين أن يضعوا في الاعتبار مشكلات الفلاحين ؟ وكان على الموظفين أيضا أن يضعوا في الاعتبار المساندة القوية للارساليات في انجلترا • وكانت هذه الارساليات ترسل التقارير الى انجلترا ، وكان بعضها عدائيا بالنسبة لمستوطني المستعمرات وبالمثل كانت روح مستوطني المستعمرات عدائية بالنسبة للارساليات ؟ وقد توافد الهوتيتوف على مقر الارساليات حيث وجدوا الظروف أيسر من المزارع • وكان الزارعون — كما هو الحال دائما في جنوبي افريقية — لا يجدون العمل ، وكانوا يعتبرون أن الحماية الاندينية لدى الهوتيتوف ليست الا من قبيل الإدعاء • وقد غضبوا أيضا عندما تزوج المشر فاندز « كيب » الذي كان مازال يافعاً فتاة من الهوتيتوف كانت كل ماتملكه فراءان من فراء الأغنام ومسبختان • لقد تغير الوقت الذي تزوجت فيه ايضا « ٤٧٥ » من الطبيب فان ميرهوف يعد موافقة الجاكم • فبهذا الزواج أساء القادم الجديد ، أو الاجنبي الى الفكرة الافريكانية وأكثر من ذلك ، لم يسكن المستعمر يرى ما يسوغ

تعليم غير البيض حياة لا توجد ببساطة ، ولحياة لا يصلحون في نظره لها بأية حال من الاحوال •

وهناك نقطة مهمة يجدر بنا أن نلاحظها هنا ؛ وهي أن معظم الارسلاليات كانت بريطانية • ولقد بقي هذا العداء ضد الارسلاليات في جنوبي افريقية الى يومنا هذا ، وكان بلاريب من أهم البواعث خلف قرار تعليم البانتو الذي صدر عام ١٩٥٤ ، والذي أنهى التعليم الارسلالي كلية ، والذي رفض السماح للمعاهد الشهيرة مثل كلية آدمز ، وكلية هدلستون سان بيتر في روز وكلية كلينيرتون أن تستمر في رسالتها كمعاهد خاصة •

في عام ١٨١٥ ؛ وفي ظل هذا الحكم البريطاني الجديد ؛ اشتكى خادم من الهوتينتوف من المعاملة التي لاقاها من سيده ، في دريك بزيودينهوف • وقد عامل بزيودينهوف رجال القضاء بازدراء ، فأرسل الحاكم ضابطا أوريبيا على رأس ثلة من جنود الهوتينتوف لاعتقاله • لم يحدث قبل ذلك على الإطلاق أن أرسل الهوتينتوف لاعتقال رجل أوريبى • وقد لجأ بزيودينهوف الى محاربة الجماعة من مغارة اختبأ بها ؛ ولكنه قتل في النهاية • وقد أقسم أخوه وهو يسير في الجنائزة أن يأخذ بثأره ؛ وثار هو وأصدقاؤه • وقد قمعت هذه الثورة في الحال ، وقام اللورد شالز سومرست باعدام خمسة منهم شنقا في ميدان عام في سلاجترنك • ولم يكن يعرف بوضوح رد فعل الفلاحين لهذا الحادث البشع ، ولكن الرجال الذين شنقوا ، قد نظر اليهم بعد

ذلك كشهداء ماتوا في سبيل وقفة الافريكانيين ضد الحكومة البريطانية؛
والارساليات ومبدأ المساواة اللعين • وما يزال الافريكانيون يذكرون
حادثة سلاجترنك الى يومنا هذا كاحدى الحوادث الاليمة التى ظهرت
فى قرن الخطأ •

فى عام ١٨٢٠. وصلت أول جماعة كبيرة من المستعمرين
الذين يتحدثون باللغة الانجليزية ، وكان عددهم حوالى ٥٠٠٠
رجل • وقد استقر معظمهم فى منطقة الحدود المضطربة ،
وأسسوا مدن بورث اليزايث وجراهافرتون وكان من نتائج
قدومهم دفع الحكومة البريطانية للسعى فى « نجلزة » أفريقية
الهولندية ؛ وقد حلت اللغة الانجليزية محل اللغة الهولندية كلغة
رسمية واستبدلت بالدولارات الهولندية الجنيهات والشلنات والبنسات ؛
واقصرت المدارس التى تساعدها الحكومة على تدريس الانجليزية
واللاتينية • وقد أغضبت محاولة « النجلزة » هذه أفريقية الهولندية
وما زال اسم اللورد شارلز سومرست الحاكم آن ذاك يذكر بالكراهية
الى يومنا هذا •

وثمة حادث آخر وقع فى هذه الفترة ؛ وهو تمرير القانون
رقم ٥٠ ، والذى كفل الحقوق المدنية للملّونين • وقد أغضب
هذا الاتجاه نحو المساواة الفلاحين أيضا • فقد رأوا ضعف
نفوذ السلطة على الهوتيتتوف ، وخافوا من زيادة التشرد
والبطالة •

ثم وقع حادث مهم آخر في هذه الفترة ، وهو الأمر بتحرير
أو اعتاق ٨٠٠٠٠ رجل من الغيـند بوساطة الأمبراطورية
البريطانية • وكان يجب دفع تعويض قيمته ١٢٥٠٠٠ ر ١ جنيه
استرليني ، عن عبيد جنوبي افريقية ، الذين تبلغ قيمتهم
٢٨٠٠٠ ر ٢ جنيه استرليني ، وذلك في لندن • وقد زار
التجار المتضاربون المزارع واشتروا طلباتهم بخـصم كبير •

وفي النهاية وقعت حرب الحدود السادسة في عام ١٨٣٤ •
لقد تدفق الأوسا عبر الحدود ، وشرعوا في التحريق والتخريب
والقتل • وقد عين الحاكم - السير بنيامين ديربان حـدا جـديدا
هو نهر الكي وهو أبعد بثمانين ميلا أخرى تجاه الشمال •
وأعلن مقاطعة الملكة أدليو ، وقدم حمايته للجميع •

وبينما كان الفلاحون - الذين كانوا يتعطشون لضم
أراض جديدة - يهنتون أنفسهم بالحاكم الجديد ، تقضت
الحكومة البريطانية سياسته وأرجعت الحدود التي كانت عليه
عند نهر السمك ، وأعلنت أن « لدى أهالي جنوبي افريقية
مسوغا كافيا » للحرب •

كالت هذه هي الانتفاضة الأخيرة للفلاحين • فقد حصلوا على
ما يكفيهم من الحكومة البريطانية ، والارساليات البريطانية
والرأي العام البريطاني وقد منح الهوتيتوف حقوقهم ، وحرر
العبيد ، وعومل السود مثل البيض • وهكذا فقد شرعوا

أفواجا أفواجا في الهجرة الكبرى في عام ١٨٣٦ وساروا صوب الشمال
وتسلقوا الجبال التي ترقد فوق السهل الداخلى العظيم ،
وعبروا نهر الأورانج الى الأراضى الخضراء التي فى تجاه
كمبرلس وبلومفونتين ونجوهانسبرج ورييتوريا ، وساروا شرقا
عبر دراكنز برج الى ناتال حيث نسمى رجال الارساليات
المستعمرة التجارية الصغيرة التى عند بورت ناتال باسم
ذيربان • وكان من بين المهاجرين المثيرين - والذين قدر عددهم
بما يزيد على ٥٠٠٠ رجل - غلام - صغير فى سن العاشرة •
هو بول كروجى الذى قاد جمهورية الترنسفال بعند ذلك بستة
وثلاثين عاما ضد بريطانيا ، فى الحرب التى نشبت بين البوير
والانجليز •

أنا سنحرر هذه المستعمرة، هذا هو ما كتبه «بيتر رينيف»
بعد الضمانات الكاملة بأن الحكومة البريطانية لن تطلب منا
أزيد من ذلك ، وأنها سوف تسمح لنا بأن نحكم أنفسنا دون
أنى تدخل منها فى المستقبل ، ولقد شاهد جيران رينيف الانجليز
(حيث كانت منطقة الحدود تتحدث بالانجليزية الى درجة
كبيرة) • شاهدوه وهو يمضى بأسى ، وقدموا اليه نسخة من
الانجيل لكى يبدأ فى رحلته •

ولسوف نرى أنه كانت هناك أسباب متعددة للهجرة الكبرى •
أحدها هو التعطش الى الأراضى بدون شك ؟ التى كانت تسبح على
الدوام منذ عام ١٦٥٢ •

لم يسبق الهجرة الكبرى « بالرغم من أنها كانت تلقائية »
رحلات تمهيدية قام بها المكتشفون في داخل القارة • ولكن
السبب الأعمق للهجرة بدون شك ؛ هو عدم توافق الحكومة
البريطانية مع البوير الأفريكانيين ، وعلى وجه الخصوص فيما
يتعلق بوجهة نظر كل منهم في مسألة الجنس واللون التي
يدور حولها النزاع • وحتى اليوم لا يستاء الأفريكانى - وفي
الحقيقة معظم البيض في جنوبى افريقية - أكثر مما يستاءون من
أن تتقد سياستهم الخاصة بالجنس بوساطة الأوربيين أو
الأمريكيين • انهم يخبرون الناقد ، انه لم يمش فى القطر ؛ وإذا
ما كان هذا الناقد انجليزيا ، أو من رجال الارساليات ، أو
انجليكانيا ، فانهم يستنكرون تقده أكثر من ذلك • وفى بعض
الأحيان يمتد هذا الاستياء ليشمل رجال جنوبى افريقية الذين
يتحدثون الانجليزية ، والذين لم يكونوا فى القطر منذ ثلاثمائة
عام ، ولو أن هذه الحجة قد بطل استعمالها بعد أن وصل
الدكتور فيروورد - نائب المستر ستريجدوم ، الى مركزه الحالى
الذى يتسم بالدكتاتورية المطلقة ، وذلك لأن الدكتور فيروورد
قد ولد فى أوزبا وكان عمره سنتين عندما نزع والده الى جنوبى
افريقية •

لقد كتبت امرأة تدعى آناستينكانين أخت بيتريتييف -
يمابندو فى نظرى من أكثر التقارير أهمية فى موضوع الهجرة
الكبرى • انها تقول :

» انها الاجراءات المخجلة والجائرة التي تتعلق بتحرير عبيدنا ، ومع ذلك فلم يكن تحريرهم هو الذى دفعنا بدرجة كبيرة الى هذا الطريق ، مثلما دفعنا الى ذلك وضعهم على قدم المساواة مع المسيحيين ، مخالفين بذلك شريعة الله والفروق الطبيعية فى الجنس واللون ، حتى أصبح من غير المحتمل بالنسبة لآى مسيحي معتدل أن ينحني أمام هذه العبودية ؟ ومن أجل ذلك فقد انسحبنا من أجل المحافظة على سلامة عقائدنا .

هنا كان بترزيتيف ؟ رجلا مستقيما ومختصا ، لا تنقصه العزيمة أو الشجاعة . ولكن فكرة الاحرار عن المجتمع المشترك الذى يعيش فيه البيض مع السود كانت بالنسبة له فكرة طائشة ؟ والاكثر من ذلك ؟ انها سوف تظل كذلك . فبالنسبة له ، وكذلك الحال بالنسبة لأخته ، كانت هناك فروق طبيعية فى الجنس واللون . ومن الممكن أن تقول ان الجنس بالنسبة له كان جنسا ثابتا ، ولذلك فقد كانت التفرقة العنصرية بالنسبة له فضيلة ، ودينا ، وفلسفة ، وسياسة . ومن الضروري أن تفهم ذلك اذا ما أردنا أن نفهم جنوبى افريقية فى أيامنا هذه .

لقد كان عملا جريئا من جانب الفاستربير عندما استغلوا معرفتهم التامة بالصفات الحربية للقبائل الافريقية لكى يواصلوا تقدمهم الى الداخل ولكن هنالك عاملين سهلا لهما ذلك ، الاول هو تكتيكهم المتفوق ، أى ينادقهم والآخر هو بحالة البلبلة فى

الداخل ، وذلك نظرا لان شاكا - ملك الزولو الذي كان
شغوبا بالحرب - قد جعل القبيلة تلو القبيلة ، والجماعة بعد
الجماعة ، تهرب منه ومن بعضها ، وتسير في اتجاهات تشع من
منطقة زولولاند مثل فرامل العجلة ؛ ويؤثرون في الحياة الأفريقية
لغاية نياسالاند في الشمال •

وقد خلف شاكا دنجال ؛ وعندما عبر ريتيفي منحدر
دراكتزبرج ووصل نالال ترك قليلا من الرجال وكل النساء
والاطفال في الخيام ، وسار هو وستون رجلا من أتباعه لكي
يرى ملك الزولو فيعقد إتفاقية معه • وقد ذبح الملك ريتيف
وجماعته ، وأرسل على الفور عشرة آلاف من المحاربين الأشداء
الى الخيام ليقتلوا كل من فيها ؛ في مكان سمي « وينين » فيما
بعد ، وذلك يعنى البكاء وقد وجد المهاجرون قائدا جديدا في
شخص أندرايس بريتور - والذي سميت بريتوريا باسمه •
وفي ١٦ من ديسمبر عام ١٩٣٨ - بعد أن نذر الى الله أن يجعل
اليوم مقدسا اذا ما جعل النصر حليفهم - قهر بريتور جيوش
دنجان في معركة نهر الدم • ويقال ان ثلاثة من البوير فقط قد
أصيبوا بجراح طفيفة ، وان ثلاثة آلاف رجل من الزولو قد
أريق دماؤهم •

ومن ثم فقد سمي يوم ١٦ من ديسمبر بيوم دنجان لفترة
تربو على المائة عام وقد تغير اسمه حديثا فقط الى يوم « العهد
أو يوم الميثاق » • ويعتبره الكثير من الافريكانيين مناسبة

دينية ، وليس الامر كذلك بالنسبة لهؤلاء الذين يتحدثون اللغة الانجليزية في جنوبى افريقية ، ولا بالنسبة للقانون ، وفي هذا اليوم يعقدون اجتماعات للأجناس ويلعبون الكريكت . ومن العدل أن تقول ان يوم الميثاق هذا لا يعنى الا القليل بالنسبة لمواطنى جنوبى افريقية الذين يتحدثون الانجليزية . ولكنه بالنسبة للافريقى ، للرجل الاسود يعنى الكثير ، انه يعنى الاساءة ، وليس ذلك من المستغرب فى الحقيقة ، فهؤلاء الذين يتحدثون الافريكانية غالبا ما ينعمون النظر فى هذا اليوم فى عداوات الماضى الأليمة والحاجة للاستمرار فى ذلك المستقبل . ولا يوجد الشئ الذى يستطيع أن يبين بوضوح أكثر الانقسامات الفظيعة فى جنوبى افريقية أكثر من هذا اليوم .

وفى ١٦ من ديسمبر سنة ١٩٣٨ - أى بعد مرور مائة عام على معركة نهر الدم - وضع حجر الاساس للنصب التذكارى فاسترهيبينز والذى ينتصب الآن فى مكان مرتفع على احدى هضاب بريتوريا . وقد شيد النصب لكى يعيد الى الأذهان ذكرى الصراع أو النضال الذى قامت به المسيحية ضد البربرية وهذا يعنى بوضوح ، صراع فاسترهيبلر ضد الافريقين .

الفصل الخامس

قرن الخطأ

لقد كانت معركة نهر الدم حدثا حاسما • فقد سقط داخل جنوبي أفريقية تحت قبضة المعتدين ؟ ولو أن ذلك لم يحدث الا بعد صراع عنيف • وقد صمم موسيس على أن يبقى باسوتولاند أرضا حرة ولكنه وضعها في عام ١٨٦٤ تحت حماية الملكة • وفي سنة ١٨٨٥ أتت بتشوانلاند تحت الحماية نفسها ؟ ولكن مركز سوازيلاند ظل غامضا الى عام ١٩٠٣ ؟ عندما أصبحت هي الاخرى تحت حماية بريطانيا

هذه هي الاقطار الثلاثة التي غالبا ما يشار إليها بالمحميات ؛ والتي كانت حكومة جنوبي أفريقية ترغب في أن تضمها الى الاتحاد ؟ ولكن بريطانيا كانت ترفض ذلك دائما والى الآن ، وهي في الحقيقة تنوي أن تفرض عملا قريبا نوعا معذلا من حكومة مسئولة في بسوتولاند •

وفي سنة ١٨٥٣ منحت مستعمرة الكاب حكومة نيابية ؛ وحق الانتخاب لجميع الاجانب • وفي عام ١٨٥٢ بعد اتفاق نهر الرمل أكدت بريطانيا للترنسفال أنها لن تتدخل في شئونها • وفي سنة ١٨٥٤ • بعد

اتفاق بلومفوتين • أعطت لمقاطعة الاورانج الحرية تأكيداً مشابهاً • ومن المهم أن تذكر أن جمهورية جنوبى افريقية • ليست مقاطعة الترنسفال المستقلة فى ذلك الوقت • قد وضع لها دستور لا يعترف • بالمساواة فى الكنيسة أو الدولة •

وقد أسس أيضاً جمهورية ناتال فى عام ١٨٣٨ ؛ ولكنها كانت قصيرة الامد • وقد نشط التجار الانجليز والارساليات فى خليج ديربان وعلى طول شاطئ ناتال منذ عام ١٨٢٤ ؛ وحصلوا فى الحقيقة على قطعة من الارض من شاكا ملك الزولو قبل أن يغتاله الدينجان ؛ ومع ذلك فلم تتحرك الحكومة البريطانية للاعتراف بهذه المستعمرة الى أن أرسلت جمهورية البوير فى سنة ١٨٤١ حملة تأديبية لقبائل البكاس التى تقطن الجنوب لأنها استولت على بعض قطعان المواشى ؛ وقد حاصر البوير الانجليز فى ديربان وسار الملك ديك سيرته المشهورة وقطع ٦٠٠ ميل حتى وصل الى اجراهامتون بعد عشرة أيام؛ عبر قطر موحش مجهول لكى يطلب المدد • وكتيجة لهذه الاحداث ارتد غالبية الانجليز الى ناتال والتى أصبحت كتيجة لهذه الهجرة ؛ المقاطعة التى تحوى غالبية من يتحدثون باللغة الانجليزية ؛ وذلك اذا ما اعتبرنا سكانها البيض • وفيما عدا ذلك فانها كانت وما زالت تتحدث الزولو الى درجة كبيرة ويعتبر الملك ديك بطلا اليوم ؛ ويقف تمثاله فى ميدان فسيح فى ديربان •

وفى عام ١٨٥٦ أصبحت ناتال مستعمرة بريطانية ؛ ومنحت

في البداية أيضا حق الانتخاب لجميع الاجناس • وفي نائيل والترنسفاك ؟ ومقاطعة أورانج الحرة تغلب الرجل الأبيض بفضل قوته وسلاحه على رجال القبائل ؟ وسمح لكثير منهم بأن يستقروا في مزارعه وكون مناطق تسمى الوديان للآخرين وتكون هذه الوديان حوالي ١٣ ٪ من مجموع مساحة الاراضي في جنوبي افريقية اليوم ؟ في حين يكون الافريقيون حوالي ٦٦ ٪ من مجموع السكان لقد عرف اليوم أن سياسة الوديان انما كانت تحركها مشاعر الترفع ولكن لن يضيرنا أن نعرف بها كسياسة المتصر ؟ سياسة فرق واحكم ؟ فهي تقدم للمهزوم حياة محدودة في منطقة محدودة • وتشجعه على أن يخرج من واديه الى عمله ؟ وتعرضه في المدينة لكثير من النظم المقيدة ؟ التي يتصف بعضها بعدم الرحمة • لقد كان الافريقيون يعيشون في المدن والقرى في مناطق وكذلك فقد كانت القوانين التي تنظم حياتهم عرضة للانتهاك • وقد تألم ضمير الرجل الابيض في جنوبي افريقية من قذارة سياسة مناطق السود في السنين الاخيرة فقط ؟ وبذل المزيد من أجل تحسين الظروف المادية للسود في ظل الحكومة الوطنية الحالية ؟ أكثر ما عمل في ظل أية حكومة أخرى • ولكن ما زالت القوانين اللعينة باقية •

وعلى العموم ؟ فقد بدأت العلاقات بين بريطانيا والبوبير تسير في طريق التحسن بعد الهجرة الكبرى ؟ وربما كان مقدرا لها أن تسير في هذا الطريق ما لم يكن التاجر أورلي قد رأى « حجر نهو الأورانج الجميل » في منزل المستر فان نيكيرك في عام ١٨٦٦ «

في المنطقة الصجراوية بالقرب من كمبرلي وقد طالبت جمهورية البوير في مقاطعة الأورانج الحرة بهذه المنطقة ؛ طبقا لاتفاق بلومفونتين الذي عقد سنة ١٨٥٤ ؛ والذي بوساطته ضمنت الحكومة البريطانية استقلال القطر فيما بين الأورانج والفال •

ولكن الرئيس دوتر بوير طالب أيضا بهذه المنطقة ؛ وعندما لجأ الى بريطانيا طلبا للحماية قامت بضم مقاطعته • وفي سنة ١٨٨٦ دفعت الحكومة البريطانية لمقاطعة الأورانج الحرة تعويضا قيمته ٩٠٠٠٠٠ جنيه استرليني •

وفي أثناء ذلك أفلست جمهورية البوير الاخرى - الترנסفال - تقريبا وقد هدد ذلك بمتاعب خطيرة في وادي سكهكهنلاند الكبير ولهذا السبب ومن أجل توحيد جنوبي افريقية تحت راية الاتحاد ؛ قامت بريطانيا بضم الترנסفال في سنة ١٨٧٧ ولم يبعث ذلك روح العداء لدى الجمهوريين فقط ؛ ولكن أيضا لدى كثيرين من الأفريكانيين الذين تخلفوا في مستعمرة الكاب • وقد قامت الحكومة البريطانية ببطء وثبات بتوحيد هذه الفكرة في كل مكان في جنوبي افريقية ؛ وفي هذا الوقت بالفعل تقريبا بدأ استعمال اسم الافريكاني كشيء مختلف عن سكان كل من الترנסفال ؛ والمقاطعة الحرة ومستعمرة الكاب • وبدأ يلوح للبوير أن الامبراطورية البريطانية بالرغم من اتفاقية بلومفونتين ونهر الرمل • كانت عازمة على التهام الجمهوريات ؛ حتى أصبح الشعور المعادي للحكومة يتخول بشكل أكثر تحديدا الى شعور معاد للبريطانيين •

وفي سنة ١٨٨٠ نهض نواب الترнсفال ؛ وهزم البريطانيون، هزيمة نكراء في ماجوبا ؛ وهذا حدث آخر سيظل باسمها في ذاكرة الأفريكانيين الى الأبد . وفي عام ١٨٨٦ انتهت الحرب بدون انتصار ؛ وأعيد الحكم الذاتي الى الترنسفال ، ولكنها بقيت تابعة لسيادة الملكة في الشؤون الخارجية . وظهرت هنالك رغبة عارمة للاستقلال الكامل ؛ وتحمست هذه الرغبة في شخص بول كروجر ؛ الذي تقلد الرئاسة في سنة ١٨٨٣ .

وكان الحدث العظيم التالي في جنوبي أفريقية هو اكتشاف الذهب في ويتواترسراند في سنة ١٨٨٦ . كان سيسل رودس يشرف على مناجم الماس من قبل وأصبح مليونيرا الآن ؛ ونمت لديه أحلام عظيمة في أن يسيطر نفوذ بريطانيا على الطريق من الكاب الى القاهرة وعن توحيد جنوبي إفريقية تحت علم الاتحاد . ولكن كروجر وقف في طريقه ؛ ومن ثم فقد فكر رودس في أن يضيق الحناق على جمهورية الترنسفال . وقد أصبح رودس رئيسا للوزراء في مستعمرة الكاب . وحصل على اقليم بتشوانلاند البريطانية (ويجب ألا نخلط بين هذا الاقليم وبين محمية بتشوانلاند) وأسس دولة روديسيا الجديدة . وهكذا فقد حصر كروجر بين موزمبيق من ناحية الشرق وناتال من ناحية الجنوب .

ثم أدار رودس اتباهه ضوب ديتروترسrand نفسها ؛ حيث كانت له مصالح مالية كبيرة من قبل . وقد تدفق آلاف المهاجرين الى

جوهانسبرج ؟ وسماهم البوير بالاجانب • وقد غير كروجر من الصفات الانتخابية ؛ لكي يفتح المهاجرين من الوصول الى الحكم • وحدث هناك سخط بالغ ؛ فأراد رودس استغلال هذه الفرصة • وفي سنة ١٨٩٥ دخل صديقه جاميسون الترنسفال ومعه خمسمائة من الرجال المسلحين ؛ وسميت هذه الواقعة بحملة جاميسون الشهيرة • لم تصح الحملة في استئارة الاجانب ؛ وتبرأت الحكومة البريطانية من المعتدين واستسلم جاميسون لكرونجى بشكل مشين • وقد سلم كروجر • يرغم معارضة بعض مستشاريه الفريق بأكمله الى السلطات البريطانية لكي ينال جزاءه •

كانت هذه الواقعة نهاية لنفوذ مينسل رودس في جنوبى افريقية لقد كان رجلا يحمل أفكارا عظيمة ؛ فقد حكم كمبرلس وهو في السابعة والعشرين من عمره ؛ وبنى منازل عظيمة ؛ وأصبح رئيسا للوزراء وسمى قطرا باسمه • لقد توقع رودس من قبل وفاته أن يذكر اسمه لمدة أربعة آلاف عام ؛ ولكنه اسم يذكر على وجه الخصوص - فيما عدا المناسبات الرسمية في روديسيا - ويقرن بالضرر البالغ الذى مس العلاقات الانجلو-أفريقية •

لقد شجع فشل الحملة كروجر على أن يتخذ موقفا حازما مع الاجانب • ولكن الحكومة البريطانية أرسلت «الفريد» مندوبها السامى الذى فاق رودس فى القسوة والبرود - والذى سمي بالورد ملتر فيما بعد • وعليه تقع تبعات الحرب التى دارت بين البوير والإنجليز •

وفي أكتوبر سنة ١٨٩٩ أعلنت الجمهوريات الحرب على بريطانيا وقد سميت هذه الحرب « بحرب الجنتلمان » اذ كانت خالصة من الوحشية والفظاعة. وقد اتبعت القيادة البريطانية سياسة الارض الملتهبة فقامت باشعال النار في المزارع ؛ وحصرت النساء والاطفال في الخيم حيث مات منهم ما يزيد على ٢٠٠٠٠٠ فرد ؛ وذلك لسوء الأحوال الصحية . وهذا حدث مفجع آخر من أحداث قرن الخطأ التي ما تزال تذكر الى يومنا هذا ؛ والتي لن تمحى من الذاكرة على الاطلاق .

لم يكن مقدرا لهذه الحرب أن تنتهي الا بطريقة واحدة وفي ٣١ مايو عام ١٩٠٢ وقعت معاهدة فيرينجنج وأصبحت جمهوريتا الاورنج الحرة والترنسفال مستعمرتين بريطانيتين ؛ وتسمى الاولى الآن بمستعمرة نهر الاورانج ومن ثم فقد قرب ذلك من توحيد المستعمرات البريطانية الاربع .

الفصل السادس

يقظه الافريكانيين

كانت هناك بعد الحرب التي دارت بين البوير والانجليز فترة من البناء النشيطة قام فيها حاكم المستعمرتين الجديدتين اللورد ملنر - بدور بارز يستحق الاعجاب، ولكنه كان مستبداً، وقبل الفكرة السخيفة وهي تجلزة البوير ؟ أى اكسابهم الصفات الانجليزية • ولحسن الحظ كان هناك رجال عقلاء فى بريطانيا وجنوبى افريقية فى ذلك الوقت وفى عام ١٩٠٥ أمسك كامبل باترمان وحزب الاحرار بمقاليد السلطة فى بريطانيا ، وفى عام ١ٹ٠٦ أرجع الحكم الذاتى الى اقليم الترنسفال ، وفى عام ١٩٠٧ أرجعه الى مستعمرة نهر الاورانج • وكان الجنرال لويس بوثا هو أول رئيس للوزراء فى اقليم الترنسفال • والجنرال سمطس نائباً له • وكلاهما من البوير • وكان أول رئيس للوزراء فى مستعمرة أورانج الحرة هو المستر ابراهام فيشر وكان الجنرال هوتزوج البويرى نائباً له • وكانت اللغة الانجليزية هى اللغة الرسمية • وأما الهولندية فمن الممكن استعمالها فى المحادثات • وكان حق التصويت مقصوراً على البانغين من الاوروبيين الذكور فى هاتين المستعمرتين • لقد ميزت هذه الاحداث نهاية الامبرالية البريطانية • وكذلك

فقد ميزت النهاية المقتربة للعصر الاستعماري وبداية عصر التحرر والمتاعب ؟ الذي لم يصل الى نهايته بعد •

وفي عام ١٩١٠ كونت هذه المستعمرات الاربع اتحاد جنوبي أفريقية وكان الجنرال لويس بونا هو أول رئيس للوزراء ؟ وظهرت في الأفق روح الوفاق العنصرى • وتساهت اللغتان الانجليزية والهولندية • وعمت القطر موجة من التفاؤل • كان فى رأس الرجاء الصالح - الذى حصل على الحكم الذاتى فى عام ١٨٥٣ - حق الانتخاب لكل الفئات على أساس غير عنصرى ؟ وبضعة ألوف من ناخبى الكاب الملونين والافريقيين ؟ وكان هذا الحق مصونا ؟ ولكنه لم يكن ليتمدد الى مقاطعات الاتحاد الثلاث الاخرى • وزيادة على ذلك ؟ كان من الممكن تغيير ذلك بوساطة أغلبية الثلثين لكل من المجلسين معا • ولم تكن هذه الظروف مصونة ؟ بوساطة تدخل الحكومة البريطانية ؟ كما يفترض كثير من المواطنين الافريكانيين اليوم ؟ ولكن بوساطة ممثلى مستعمرة الكاب أنفسهم • ولقد اتفقت المستعمرات الأربع أنه مهما كانت الحقوق الانتخابية لغير البيض ؟ فلا يمكن انتخاب أى شخص غير أبيض لأى من مجلسى البرلمان •

ولكن بالرغم من الحديث الكثير عن الأخوة والوفاق بين أجناس البيض فقد كانت هناك أعداد كبيرة من الوطنيين الافريكانيين لم يكن لها شأن بذلك • لقد كانوا قريين جدا من أحداث قرن الخطأ • لقد رحبوا باعتراف الهولنديين ولكنهم كانوا يريدون أكثر من اعتراف الافريكانيين • وقد كانوا أمناء على كل شيء يخصهم ؟ لأنهم يعرفون

مخاطر أى ثقافة أجنبية ؟ لأنه لم يكن هناك أفريقيون فى الكاب
أصبحوا أكثر نجلزة من الانجليز انفسهم ؟ زيادة على ذلك فقد
أصروا على تعليم أولادهم فى مدارس أفريكانية متوسطة، وأقاموا
جامعات أفريكانية متوسطة للشباب من الرجال والنساء .

لقد عملت القومية الافريكانية بشجاعة وصراحة من أجل
التفوق السياسى وبعد كل ذلك ؟ فقد زاد عدد الافريكانيين على هؤلاء
الذين ينطقون اللغة الانجليزية فى جنوبى افريقية ؟ اذا ما أمكن جعلهم
وطنيين فحسب ؟ واذا ما أمكنهم استعمال الحق الذى قدم لهم بنجاح
ثم اذا ما أمكنهم إعادة بناء مجتمعهم الخاص بدلا من أن يخذعوا
بالكلمات البراقة ؟ وعندئذ سوف لا يحصلون فى يوم ما على جمهورياتهم
القديمة وحدها ؟ ولكن من الممكن أن يقيموا جمهورية جنوبى
أفريقية الجديدة . وسوف تنصر الافريكانية ؟ وسوف يصبح جنوبى
أفريقية بحق ملكا لهؤلاء الذين عانوا المتاعب كثيرا من أجله .

لقد عزم الوطنيون الآن على انجاز هذه المهمة . وفى عام
١٩١٣ انشق الجنرال هرتزوج على الجنرال بوثا وكون الحزب الوطنى
الذى كان صغيرا . وفى عام ١ٹ١٤ قامت الحرب العالمية الأولى وزج
الجنرال بوثا بجنوبى أفريقية فى الحرب الى جانب بريطانيا . ولكن
كثيرا من رجال جنوبى أفريقية الذين يتحدثون الافريكانية لم
يكن لهم ما يعنيه فى حرب يخوضها « الانجليز » . وقد ثار بعضهم
وأعدم أحدهم ويدعى جوبس فورى واعتبر خائنا ؟ وانضم هيسو
أيضا الى قائمة شهداء سلاجترتك .

وفي عام ١٩٢٤ - أمسك الوطنيون بمقائيد الحكم تحت قيادة الجنرال هرتزوج ؟ وبمساعدة حزب العمال الصغير الذي كان معظم أفرادهم ينطقون الانجليزية الى درجة كبيرة . وكان من قراراتهم الاولى مساواة الافريكانيين بالانجليزية . وثمت مهمة أخرى هي التخلص من علم الاتحاد الكريه ؟ وتصميم علم خاص بهم ؟ وقد عارض رجال جنوبي أفريقية الذين ينطقون الانجليزية ذلك بصرامة ثم أسفر الاتفاق عن العلم الحالي ؟ وهو علم الأورانج ؟ الذي يوجد على الجزء الأوسط منه ثلاثة أعلام صغيرة - هي صورة طبق الاصل لعلم الاتحاد وعلمى الجمهوريتين . وقد نعتها الدكتور مالان «بالقشرة التي تعلو الجراح» ؟ والتي لا تفتأ أن تسقط في يوم ما . وقد وقع حادث مهم آخر عندما وافق البرلمان البريطاني على دستور وستمنستر في عام ١٩٣١ ؟ والذي أقر المساواة المطلقة بين كل المستعمرات التي توجد داخل اطار الكومنولث ؟ والتي كانت ترتبط بولايتها المشترك للتاج فقط . ومن ثم فقد أصبح جنوبي أفريقيا ندا لبريطانيا .

وقد استراح هؤلاء الناطقون باللغة الانجليزية ؟ والذين أيدوا سمطس بكل قواهم ؟ بعد موت بوثا ؟ عندما اتحد هرتزوج وسمطس في عام ١٩٣٣ لتكوين الحزب المتجد ؟ ولكن نفرا قليلا من الوطنيين انفصل مرة أخرى تحت قيادة الدكتور مالان هذه المرة .

وفي عام ١٩٣٦ حصل هرتزوج في جلسة مشتركة على أغلبية الثلثين اللازمة لتحويل كل الناحيين الافريقيين الى قائمة منفصلة - وقد عارض هذا التغيير ١١ نائبا من ١٩٠ ؟ وكان يقودهم هوقماير .

وفي عام ١٩٣٩ وقعت الحرب العالمية الثانية ؟ واتسعت هوة
الخلاف بين هرتزوج وسمطس ؟ ولكن سمطس الذي حصل على
الاجلية بثلاثة عشر صوتا قاد جنوبى افريقية مرة أخرى الى الحرب
فى صف بريطانيا العظمى . وقد اتحد هرتزوج مرة أخرى مع مالان
والوطنين ؟ ولكنه ما لبث أن مات بعد ذلك . لم يكن هناك أى تمرد
وانضم كثير من الافريكانيين الى جانب انجلترا ؟ وانصب عمل الهولنديين
حول اصلاح الكنائس ؟ ولكن يد الاصلاح لم تمتد الى ثقافة المجتمع
الافريكاني ؟ ومدارس المرحلة المتوسطة الافريكانية ؟ وجامعات
ستيلينبوشن ؟ وبلومفوتين ؟ وبوتشيفستروم ؟ وبريتوريا .

ولقد خرج سمطس من الحرب مكلا باكاليل النصر هو وحزبه
المتحد - ولكنه هزم فى انتخابات سنة ١٩٤٨ بوساطة الدكتور مالان
وحزبه الوطنى وكانت هذه هى أول حكومة فى جنوب افريقية كل
أعضائها من الافريكانيين فقط ؟ وقد حصلت على معظم المقاعد .

كيف أتى الوطنيون الى الحكم فى النهاية ؟ ومن أتى بهم ؟ مما
لاشك فيه مع بعض الاستثناءات أنهم أتوا الى الحكم على أكتاف
الافريكانيين . ولم يحدث فى تاريخ جمهرة الافريكانيين الطويل
بدون شك أن فكروا بعقل رجل واحد ؟ وبعد أربعين عاما من الاتحاد ؟
قل فيها العراك والحرب والعنف لم يكن الانقسام واضحا بين من
ينطقون باللغة الانجليزية وبين من ينطقون باللغة الافريكانية من
جنوبى افريقية مثلما هو واضح الآن .

ثم لماذا أتى الوطنيون الى الحكم ؟ مما لا شك فيه أنهم أتوا لأنهم

وعدوا يحل مشكلات الاتحاد العنصرية في حرب البوير التقليدية ؛
بوساطة التفرقة أو الأبارتيد ؛ أى بالفصل بين الإجناس في المدارس
والجامعات ؛ والمناطق السكنية ؛ والوظائف والاعمال - والقطارات -
والأتوبيسات ؛ والمكتبات والمتديات . . الخ . وأخيرا فقد أتيح
للأفريكانيين فرصة لتصحيح الدورة الخاطئة التي دارها التاريخ عندما
أتى البريطانيون وارسالياتهم إلى الكاب ولإعادة تأكيد سيادة الرجل
الأبيض . وقد نص دستور جمهورية ترنسفل على « عدم المساواة
في الكنيسة أو الدولة » .

كان من صيحات انتخابات عام ١٩٤٨ المطالبة بالقضاء على هوفماير
فقد كان هو الذي عارض إبعاد النأخين الأفريقيين إلى قائمة منفصلة
وكان هو الذي عارض محاولات سمطس لتحديد أقامة الهنود في مناطق
معينة ؛ ثم كان هو الذي يصر دائما على المساواة بين كل الرجال في
الحقوق السياسية . وقد مات الرجل في ٣ ديسمبر سنة ١٩٤٨ ؛ ولم
يستطع أى رجل في جنوبى أفريقية أن يكتشف بوضوح مدى القسوة
التي سيسير عليها الوطنيون في تنفيذ سياساتهم ؛ سياسة التفرقة
العنصرية .

لقد مر العام الاول بهدوء نسبي . ولقد ألغى التمثيل البرلماني
الذي منح حديثا للهنود . وفرضت القيود على الهجرة ؛ لأن المهاجرين
كانوا ينحازون للحزب المتحد . وقد وصف مالان الأمم المتحدة بأنها
تهدد الاستقلال والحرية ؛ وتوعد بأن يترك المنظمة عن أن يترك
مقاطعة جنوب غربى أفريقية الواقعة تحت الحماية (والتي كانت

مستعمرة ألمانية حينئذ) لاشرافها . وقد صرح اللفتانت ستريجدوم بأن أية معارضة لسياسة التفرقة العنصرية يعتبر خيانة . وأما وزير التعليم فقد قطع المساعدات التي كانت تعطى لتغذية تلاميذ المدارس الأفريقيين ؛ وكذلك فقد أظهرت الحكومة بوضوح نواياها السيئة تجاه نقابات العمال المشتركة .

في عام ١٩٤٩ صدر قرار الزواج المختلط وأغلقت الحكومة إحدى وعشرين مدينة في وجه الأفريقيين الذين يبحثون عن عمل وفي عام ١٩٥٠ صدر قرار تسجيل السكان وقد أدخل ذلك نظاما للتقسيم يقرر بوساطته الجنس لكل الأشخاص منذ ولادتهم وإلى الأبد؛ هذا المقياس الذي جلب عديدا من المتاعب . ولقد كان قرار تسجيل السكان هذا ضروريا بالنسبة لقرارات أخرى مثل الزواج المختلط ؛ وقرار الاخلال بالآداب ؛ والأهم من ذلك الآن بالنسبة لقرار مناطق السكان الجديدة . والذي قسم الاتحاد ككل إلى مناطق للأجناس .

لقد قال الدكتور دونجز وزير الداخلية - عند تقديم قرار مناطق السكان إلى البرلمان ، ان هذا القرار يجب أن يطبق «بعادلة بالنسبة لكل المواطنين» . وكان من النتائج الأولى لهذا القرار أن طرد التجار الهنود في الترنسفال من أواسط كل المدن ، وفي جوهانسبرج أبعد هؤلاء التجار إلى منطقة مكشوفة تبعد عن المدينة بعشرين ميلا . وثمة نتيجة أخرى هي طرد الملاك الأفريقيين من أملاكهم الثابتة التي استقروا فيها

وتقديم أماكن أخرى لهم حيث لا يستطيعون شراء الأرض •
وفضلاً عن ذلك ، فقد أعطى القرار الحق للمراقبين في دخول
أى مسكن بالليل أو بالنهار ، ودون أى تنبيه وقد أيد الحزب
المتحد هذا القرار الجائر ، وذلك لأنه كما يؤمن بالتكامل
الاقتصادى ؛ فإنه يؤمن أيضاً بالفرقة الاجتماعية والسكنية التى
ينفذها القانون •

وقد صدر أيضاً فى عام ١٩٥٠ قرار مناهضة الشيوعية ،
والذى بوساطته يستطيع الوزير أن «يحكم» على أى شخص
بأنه شيوعى ، ويجبره على الابتعاد عن كل المتديات والمنظمات ،
ويمنعه من الكلام أمام الناس ، أو دخول بعض مناطق معينة •
ولم يكن هناك استئناف لأى من هذه الأحكام • وفى يوم العمال
عقد كل من النواب الأفريقيين والهنود اجتماعاً للاحتجاج ،
وقتل منهم ثمانية عشر شخصاً فى عراكتهم مع البوليس • وقد
كانت انتخابات جنوب غربى افريقية الأولى — التى أعطت
للباحين البيض تمثيلاً يعادل ثلاثة أضعاف ما فى الاتحاد — نصراً
للدكتور مالان ، إذ أنها قدمت له أربعة مقاعد لمجلس الشيوخ
ومبته مقاعد لمجلس النواب أكثر عن ذى قبل • وفى ١١ سبتمبر
عام ١٩٥٠ مات سمطس ، واستقال الدكتور جانسن من منصبه
كحاكم عام ، وعين الدكتور فيروورد وزيراً للشئون الوطنية •
وقدر له بأن يكون أكبر داعية للفرقة العنصرية •

وفى عام ١٩٥١ صدر قرار حكومة الباتو ، والذى تخلص

من متاعب المجلس النيابى الوطنى ، وبدأ فى خلق نظام هرمى من السلطات تحت امرة وزير الشئون الوطنية • وفى الصراع من أجل اقضاء الناهخين الملونين من القائمة العامة ، نالت الحكومة أغلبية عادية فى عملية الاقضاء ، وذلك على افتراض أن دستور وستمنستر قد أعفى اتحاد جنوبى افريقية المستقل حاليا من أى حق فى مراقبة الحماية الدستورية • وقد تواعد وزير التعليم بمنع المنح عن الجماعات الثقافية التى لا تلاحظ خارق اللون ، وقد قررت حركة التعليم المسيحية لهذا السبب أن تستمر فى رسالتها دون مساندة الدولة • وقد جعلت جوازات السفر ملكا للحكومة ، واضطهد المئات باسم الشيوعية • وكان تكوين طليعة الفدائيين من حوادث العام المثيرة ، وكانت تتكون من الخدم السابقين وأناس آخرين ساروا الى مدينة الكاب وتظاهروا ضد اقضاء الناهخين الملونين ، وقد كانت الطليعة قادرة فى البداية على اخفاء معضلة البيض فى جنوبى افريقية ، أى أنها كانت تدافع عن حقوق الملونين ، ولكنها لم تكن على استعداد للتفاهم معهم •

وفى عام ١٩٥٢ أدخل الدكتور فيروورد قرار سلطات البانتو المدنية والذى بوساطته كان يأمل فى أن يفرق بين الافريقيين ويحكمهم • وقد نقضت محكمة الاستئناف التمثيل المنفصل لقرار الناهخين ، ومن ثم فقد ضمنت الحكومة تمرير المحكمة

العليا لقرار مجلس البرلمان ، وجعلت البرلمان محكمة استئنافية ذات منزلة أعلى من المحكمة الموجودة في بلومفونتين •

ومن حوادث هذا العام التي تدعو الى الانتباه بدء حركة المقاومة ، وقد خالف بضعة ألوف من المتطوعين غير البيض قوانين التفريق ؛ وانضم اليهم بعد ذلك باتريك دونكان ابن عم باتريك دونكان الراحل ، أول مواطن في جنوب افريقية - عين حاكما عاما -

وقد تقضت المحكمة البرلمانية العليا تقض محكمة الاستئناف ، وتقضت محكمة الكاب العليا تقض المحكمة العليا، وساندها في ذلك قرار محكمة الاستئناف • وقد شوهت حركة المقاومة بمظاهرات قامت في بورت اليزابيث وشرقي لندن ؛ فقلل فيها كثير من الاوربيين ، وقد تبرأ الزعماء من المتظاهرين ولكن كثيرا من الناس آمنوا بأن مقاومتهم قد فتحت الباب أمام العناصر التي لا تعترف بالقانون • وقد تكون مجلس الديموقراطيين البيض في هذا العام وهو تنظيم راديكالي يعارض سياسة التفريق بثبات ، ويعمل على التعاون بشكل وثيق مع الافريقيين والهنود • وهكذا انتهى هذا العام المملوء بالمتاعب •

وفي عام ١٩٥٣ قرر البرلمان قرار الامن العلم ؛ الذي قدمه تسعة من المنشقين وأيده الحزب المتحد • وكذلك ، فقد مرر قرار تعديل قانون الاجرام وذلك لكي يعوق حركة المقاومة ،

وهذا القانون يقضى بعقوبات ، تعادل ٣٠٠ جنيه استرليني غرامة والسجن ثلاث سنوات ، والجلد لمن يعترضون على القانون ، وقد أدى ذلك الى انتهاء حركة المقاومة وحرم كثيرون من زعمائها حقوقهم المدنية ، منهم الرئيس السابق ليتولى بن الرئيس العام للمجلس الأعلى الافريقى الوطنى .

وفى الانتخابات العامة ، حصل الوطنيون على تسعة مقاعد جديدة ، ولو أن عدد أصواتهم ما زال أقل . وقد أدى هذا الى تكوين حزب الأحرار ليحل محله رابطة الأحرار ، ولم يشترط الحزب أى لون بالنسبة لأعضائه وكذلك فقد عارض الحزب كل قوانين التفرقة . وكذلك فقد ظهر الحزب الاتحادى الى حين الوجود ، وأعلن عن معارضته للجمهورية ، وتأيده للنظام الفيدرالى ولكنه لم يتخذ موقفا حازما تجاه قضية التفرقة العنصرية .

وقد حاول الدكتور مالان - رئيس الوزراء - الحصول على أغلبية الثلثين مرة أخرى . وذلك لاقصاء الناحيين الملونين الى قائمة منفصلة ، ولكنه فشل فى هذه المرة . وقد حفظت كل وظيفة لجنس معين . وهذا الدكتور مالان الجامعات التى سمحت للطلبة غير البيض بدخولها ، ومرة أخرى شدد على ضرورة تعاون جنوبى افريقية مع الدول الواقعة تحت الحماية .

وفى عام ١٩٥٤ فشل الدكتور مالان مرة أخرى فى الحصول على أغلبية الثلثين اللازمة لاقصاء الناحيين الملونين الى قائمة

منفصلة ، وذلك لأنه لم يستطع اقناع الحزب المتحد بتأييده .
وقد مرر قرار الوفاق الصناعى المخيف ، الذى لم يكن يسمح
بتكوين نقابات للعمال الافريقيين ، أو نقابات عمال مختلطة ،
والذى اباح للوزير توزيع الوظائف على أساس الجنس . وقد
أعلن أن ضاحية جوهانسبرج الافريقية الحرة التى يبلغ عمرها
أربعين عاما ؛ والتى تسمى صوفيا تاون منطقة للبيض ؛ وقد
تمكن الدكتور فيروورد - الذى فشل فى ضمان تعاون مجلس
مدينة جوهانسبرج - من تمرير قرار لاقامة مجلس حماية
وطنى ، وذلك لابعاد ساكنى مدينة صوفيا «صوفيا تاون» الى
ميدولاند حيث لا يستطيعون التمتع بحقوق حرة . وقد تم ذلك
طبقا للنظرية التى تنادى بأن الافريقى هو «ساكن مؤقت»
للمدن ، وقد أثار ذلك دهشة المراقبين المنصفين من أن الوزير
يستطيع أن يسحق بحماقة طبقة ملاك الأراضى الافريقيين التى
لا يحتمل أن تهب نفسها للثورة أو العنف . وكذلك فقد رعى
الدكتور فيروورد قرار تعليم البانتو ، وذلك يعنى نهاية نشاط
الارساليات فى ميدان التعليم . وقد قال الوزير فى مجلس
البرلمان أنه لا يوجد مكان للافريقين فى المجتمع الاوروبى . وقد
اعتبرت مدارس البانتو مدارس طائفية ، ليست تحت اشراف
الارساليات ، ولكن تحت اشراف المجالس الطائفية ، والتى
يشرف عليها الوزير لا الطائفة . وأما المدارس التى ترغب فى
أن تستمر كمدراس خاصة فعليها أن تتال موافقة الوزير . وقد

وافقت الكنائس الهولندية البروتستنتية على هذا القرار ، كما فعلت بعض الارسلالات الاجنية الثانوية ، ولكن الكنائس الأخرى اعترضت على ذلك .

وفي ديسمبر عقد مؤتمر كنائسي لجميع الاجناس في جوهانسبرج ، تحت رعاية الكنيسة الهولندية البروتستنتية ، وقد تكلم في هذا المؤتمر متحدثون ومندوبون من كل الاجناس ، بالرغم من أنهم كانوا يجلسون ويأكلون منفردين وقد وعد الحزب المتحد بانتهاج سياسة غير أوربية جديدة ، ولكن مجلسه لم يتخذ شيئاً في هذا الصدد في الحقيقة ، وقدم مجلس ناتال الاقليمي - والذي يتحدث معظم أعضائه اللغة الانجليزية - الرياضة المختلطة من أجل تسجيل السكان طبقاً لقرار تسجيل السكان ، فقد كانوا يمررون المشط والقلم في شعورهم لكي يقرروا ما اذا كانوا من الافريقيين أو الملونين ، وكانوا يسألونهم أسئلة شخصية مهينة . وقد مرر البرلمان الانتقال من قرار تنظيم الاتحاد ، وذلك لتنظيم الزيارات الخارجية للأشخاص الذين يحتمل أن يسيئوا الى الاتحاد وحكومته الشخصية . وقد طبع تقرير توملينسون الذي انتظرتة الحكومة طويلاً ؛ والذي كانت تأمل أن يحقق التفرقة ، ولكن التقرير قدر أن عدد البيض في عام ٢٠٠٠ م سوف يزداد على غيره في مناطق البيض بصرف النظر عن تنمية الاحتياطي الوطني . وقد أوصت لجنة توملينسون

أيضا بصرف ما يزيد على ١٠٠٠٠٠٠ رطل جنيه استرليني على تنمية الاحتياطى فى عشر سنوات ، فى حين صوتت الحكومة على مبلغ ٣٥٠٠٠٠ رطل جنيه استرليني فقط . وقد كانت هذه لطفة كبرى للدعاة التفرقة الكلية ، ولكنهم مازالوا يصممون على الدفاع عنها . وقد قرر الكاثوليك إدارة مدارسهم دون مساعدة الحكومة ، وزادوا الاعتماد بمبلغ ٧٥٠٠٠٠ رطل جنيه استرليني ، ولكن بقي من غير المؤكد ما اذا كانوا سيحصلون على التصريح اللازم لذلك . وبالرغم من أن كلية آدامز والمدرسة الارسالية القديمة فى باتال قد حصلتا على النقود اللازمة ، الا أن الحكومة رفضت التصريح لهما ؟ ومن ثم فقد أغلقتا أبوابهما .

فى عام ١٩٥٧، بينت لائحة جامعة فورت هير الانتقالية ولائحة التعليم الجامعى المنفصل عزم الحكومة على فصل التعليم الجامعى للطلبة من غير البيض ، وتنفيذ تهديد الدكتور مالان ضد جامعات كيثون ووتيو وتراسراند المفتوحة ؟ لقبولها الطلبة غير البيض . وقد أحيلت هذه المسائل الى لجنة برلمانية ، ولكن من المتوقع أن تعمل الحكومة فى أواخر هذا العام (١٩٥٨) من أجل التفرقة الكلية النهائية . وقد أثار بند الكنيسة الشهيرة فى قرار تعديل القوانين الوطنية الاضطراب الذى ساد هذا العام ، والذى خول للوزير - بعد الحصول على موافقة السلطة المحلية - الحق فى أن يمنع الافريقين من الحضور الى الكنائس فى مناطق البيض المدنية ، وكذلك حقوقا أخرى حول ارتياد الافريقين

تبعض الأماكن الأخرى • ولقد عارضت كنائس البيض من
ينطقون اللغة الانجليزية البند الخاص بالكنيسة بشدة ، ولكن
الكنائس الهولندية البروتستنتية قد حصلت على تأكيدات من
الوزير طمأنتها • وقد نصح كثير من زعماء الكنيسة أتباعهم
بمخالفة القانون ، وهذا عمل خطير ليس له مثيل في تاريخنا •

وكيفما كان الامر ، فقد أنجز قرار المساحات السكنية
الجديد في نهاية العام بهدوء ما أنجزه الدكتور فيروورد بعد أن
اشتهر أمام العالم • فقد عرف «احتلال» منطقة ما بطريقة تعتبر
كتهديد لأي نوع من الاختلاط بين الأجناس وقد خلق قرار
التمريض سجلات منفصلة للأجناس ، وأعطى الاشراف على المهنة
لمجلس كل أعضائه من البيض واعطائهم سلطة فرض اتجاهات
مختلفة للأجناس المختلفة ، وكذلك زيا مختلفا • ومن ثم فقد
مر عام كئيب آخر •

وقد أجريت الانتخابات الاولى للناخبين الملونين الذين
تم فصلهم ؟ قبل الانتخاب العام في عام ١٩٥٨ • وقد قدر أن
٣٠٪ فقط من المجموع المحتمل للناخبين الملونين قد سجلوا
أسماءهم ، ومن هؤلاء أعطى ٤٠٪ فقط أصواتهم • وكذلك فقد
قدر أن الملونين الشباب قد قاطعوا الانتخابات تماما • وقد كسب
مرشحو الحزب المتحد المقاعد الاربعة بسهولة ، وهزموا
الوطنيين تماما • وقد كانت وجهة النظر القاطعة أن جزءا فقط
من كبار السن من الملونين والاكثر محافظة منهم على القديم هم

الذين أدلوا بأصواتهم ؟ وأنهم صوتوا بالاجماع ضد التفرقة •

ثم أتى بعد ذلك الانتخاب العام • ولقد حصل الحزب الوطنى على ١٠٣ مقاعد (بزيادة ٧) والحزب المتحد على ٥٣ مقعدا (بزيادة ١) وكان مكسب الوطنيين على حساب الحزب المتحد ، فى حين كان مكسب الحزب المتحد على حساب العمال والمستقلين • وهكذا فقد اتجه الناخب الأبيض صوب اليمين • وقد قدر أن عدد الأصوات قد قسم بشكل تقريبي منصفة بين الحزبين الوطنى والمتحد • وقد أزيل حزب العمال ، فى حين أحرز الأحرار الثلاثة - والذين انتخبوا لأول مرة - ٦ ٪ ، ٧ ٪ ، ١٧ ٪ من القائمة الانتخابية على التوالى •

وقد قرر المجلس الإفريقى الوطنى المناداة بالاضراب والاعتصام فى المنازل فى أيام ١٤ ، ١٥ ، ١٦ ابريل ، وكان هذا اليوم الأخير هو يوم الانتخاب العام • وقد أيدت المجالس الأخرى هذا المشروع وأخبر به حزب الأحرار ، فى حين هاجمه الحزبان الوطنى والمتحد • وقد توعد وزير العمل - المستر جان دى كليرك - المضربين بأنه سيلقنهم درسا عن « سيادة الرجل الأبيض » ، وصدرت الأوامر الى البوليس بالتيقظ • وقد فشل الاضراب وأبطل فى مساء اليوم الأول • ولقد كشف هذا الاضراب عن حقيقة واحدة هى التنظيم الشديد الذى ما زال الإفريقيون فى حاجة اليه ، وذلك اذا ما أرادوا القيام بعمل فعال خارج نطاق البرلمان •

وعندما قام التهديد بالاضراب ، أرجع الدكتور فيرورد
- وزير الشؤون الوطنية - قرار الادارة الوطنية الذي صدر
عام ١٩٢٧ ، ومنع الاجتماعات لما يزيد على عشرة أشخاص من
الافريقيين في مناطق كثيرة ، وذلك لكي يمنع اضطراب العمل .
وما زال هذا القرار ساريا الى اليوم (٢٢ يونيو وبعد الانتخابات
بعشرة أسابيع) (١) ، وكنتيجة لذلك لم يستطع حزب الاحرار أن
يعقد اجتماعات حرة ، وقد استغاث الحزب بسكرتير وزير
الشؤون الوطنية وكان رده أن الوزير مشغول للغاية ، وأنه
ما زال يجمع المعلومات ومع ذلك فقد كان الوزير يعرف ولا بد
أنه قد عرف ، أن حزب الاحرار ليس له دخل باضطراب العمل .
لقد كان يروق للوزير أن يراوغ حزب الاحرار (هذا كل
ما في الامر) .

وكان اعلان مناطق السكان في مدينة ديربان بمثابة الخاتمة
لأحداث عام ١٩٥٨ الموجهة للنظر - وبناء على هذا القرار يجب
ابعاد ٣٠٠٠ أوروبي ؛ ٩٧٠٠٠ شخص من أجناس أخرى . وقد
أصيب جماعة الهنود من جراء ذلك بخسائر فادحة ، فممتلكاتهم ،
التي تعنى الكثير بالنسبة لهم ، لاتعنى شيئا بالنسبة للاوربيين
الذين يمتلكون المنطقة الآن . وانه لحقيقى أن السلطات ربما
تحدد ثمنا «أساسيا» لهذه الممتلكات طبقا لقرار تنمية المساحات
السكنية ، ولكن يجب ألا تنسى أنه لا يمكن استئناف هذا الحكم

(١) رفع هذا القرار فى ٢٩ أغسطس .

وهكذا فان التفرقة تسير في طريقها القاسى والصلب ، وهى تحتجب وراء الكلمات البراقة ، فى حين تخلف وراءها سلسلة طويلة من المرارة والألم •

واننا نتطلع الآن الى الدورة الاولى لبرلماننا الجديد ، ونحن نعجب للاستحکامات الجديدة التى سوف تقام ، وللحماسة الجديدة التى سوف ترتكب فى هذه العملية الغريبة لتأمين الأفريكانية بأكثر الطرق خطورة فى العالم •

الفصل السابع

المستقبل الصعب

اننى آمل أن يكون فى هذا العرض التاريخى الموجز ؛ مايساعد القراء فى البلدان الأخرى على أن يتفهموا كيف وصلت القومية الأفريقية إلى ما هي عليه اليوم ؟ ولماذا تبدو سليمة فيما يتعلق بالعلاقات بين الأجناس . وبالنسبة لبعض الناس تبدو القومية الأفريقية كقوة لا يمكن مقاومتها ؟ وتبدو القومية الأفريقية كعقبة راسخة .

وفضلا عن ذلك ؛ فمن الممكن أن يوضح هذا العرض أن فكرة الحرية فى المجتمع العام لا تحوز القبول لدى كثيرين من الأفريكانيين ؛ ومما يزيد ذلك أن هذه الفكرة قد أدخلت بوساطة الإدارة والارساليات البريطانية . . .

والآن يحكم الوطنيون الأفريكانيون القطر. وثمت أمل ضئيل فى الوقت الحالى لمساندتهم ؛ وكتيجة لذلك ازدادت عقيدتهم عن التفرقة العنصرية قوة ؛ ولا يمكن أن يكون هناك أى شك فى أن الأفريكانيين كانوا فى الماضى عرضة للنجلزة (أى اكسابهم الصفات الانجليزية) كذلك الآن فان هؤلاء الذين ينطقون باللغة الانجليزية عرضة للأفركة

(أى اكسابهم الصفات الافريكانية) ؟ وعلى وجه الخصوص فيما يتعلق
بهذه العقائد •

ومن الواضح كنتيجة لانتخابات عام ١٩٥٨ أن نصف الناخبين
البيض يؤيدون سيادة البيض وسيادة الافريكانيين ؟ وأن نصف الناخبين
هذا يستطيع أن يستحوذ على ثلثي المقاعد ، ومن الواضح أن الغالبية
العظمى من النصف الآخر ، ولو أنها لا تؤيد سيادة الافريكانيين ؛
الا أنها تؤيد بالتأكيد سيادة البيض مع أنهم لا يستحسنون هذا اللفظ ؛
ويفضلون عليه زعامة البيض • ويتضح اذن أن الناخب الأبيض لا يحبذ
اعطاء امتيازات سياسية لغير البيض ؟ وان الحزب المتحد قد اندفع -
منذ موت هوفماير وسمطس تجاه اليمين •

وفضلا عن ذلك ، يسير الناخب الأبيض فى روديسيا الجنوبية
فى الاتجاه نفسه على ما يبدو ؟ فهو ربما يحن الى جنوب افريقية من أجل
حماية نفسه ؟ بعد هروبه الى روديسيا طلبا للحرية •

هذه حقائق بشعة يجب علينا أن نواجهها • ومما يزيد فى
بشاعتها على حسب رأى هوفماير الذى شرحه بوضوح - أن أى
عمل من جانب البيض ربما يخلق رد فعل من جانب السود ؟ وأن
كل عمل من أعمال القمع ربما يزيد الصراع حدة أكثر فأكثر •
وكما يقول هوفماير «امض الى الامام فى ثقتك» ، ولكن غالبية
البيض فى جنوب افريقية يعتبرون ذلك اليوم غير عملى ، وغير
واقعى ، بل وفى غاية الخطورة •

وكيف يهرب الانسان من هذه الورطة ؟ اذا ما كان يؤمن حقيقة أن عمل الخير وعمل الشر يتساويان في الخطورة ؟ ليس هنالك الا طريق واحد للهروب ؟ هو التفرقة العنصرية الكلية ؟ أى التقسيم التام لجنون أفريقية الى مقاطعات منفصلة للأجناس ؟ يعيش كل جنس في مقاطعته ويدير شؤونه الخاصة •

لقد أسمى البروفيسور ب • ب كيت ذلك بحلم اليقظة ؟ ولا يمكن أن نجد اسما أكثر ملاءمة من ذلك ؟ ليس فقط لأن الحلم يبدو خياليا ؟ ولكن أيضا لأننا من الممكن أن نحلم به حتى ولو كانت كل اشارة تدل ؟ أو كل حدث يتحرك ؟ الى اتجاه مضاد • وعلى ما أظن توجد أربعة أسباب منيعة تجعل من التفرقة العنصرية الكلية أمرا مستحيلا ؟ فلا توجد الأرض اللازمة لذلك ؟ ولا توجد النقود ؟ ولا يوجد الوقت ؟ وكذلك لا توجد الارادة •

وأكثر من ذلك ؟ نجد أن بعض معارضى الحكومة ؟ بعد الهزيمة الكبرى في انتخابات سنة ١٩٥٨ ؟ يميلون الى القول بأن التفرقة العنصرية شديدة القوة بالنسبة لنا - وانه لمضيعة للوقت أن نحاربها ؟ دعنا نحاول أن نقوم بها •

وفي النهاية ؟ يستطيع مؤيد التفرقة العنصرية الكلية أن يقول ؟ «ننى حر أنا الآخر • اننى أفريكانى حر • وأنا أريد التفرقة العنصرية • ولكننى أريدها تفرقة عادلة • لماذا لا تصاندوننى ؟

توجد هناك أسباب واضحة ومؤكدة ؟ لماذا لا يستطيع الأحرار

على الإطلاق أن يساندوا قوى التفرقة العنصرية التامة ؟ وذلك بالإضافة
الى عدم وجود الأرض والنقود والوقت أو الارادة •

فالتفرقة العنصرية من أى نوع بالنسبة لنا هي نبذ رفاقنا ؟ هؤلاء
الذين ولدوا وعاشوا وماتوا على أرضنا نفسها • ان جعل التفرقة كاملة
لا يغير بالضرورة من هذه الحقيقة ، وهي اننا نبذ رفاقنا • فالتفرقة
الكاملة هي الحيلة التي بها نستطيع أن نتخيل النبذ والعدالة في وقت
واحد ، واذا ما نظرنا اليها من الناحية الدينية ، فهي تعنى حب
جيرانتنا ، على شريطة ألا تكون منازلهم بجانب منازلنا •

ليس مجتمعنا الحالى الا ثمرة مشتركة للجهود التي قام بها كل
رجال جنوب أفريقية ؟ ثم ان هناك أشياء لا يمكن تقسيمها ؟ مثل المدن
والموانئ والمناجم • كيف يمكن أن يكون هناك أى تقسيم عادل لبلدنا ؟
وعلى العكس من ذلك فانا نعتقد أن المجتمعات الجديدة سوف
تدأ دائما والى الأبد من أجل هذه الحياة الفقيرة والبائسة •
وعلى هذا فانا نرفض هذا الاقتراح • ثم بعد ذلك ، وبعد أن
رأينا الظلم الذي قامت به التفرقة العنصرية في مهبها ، كيف نستطيع
أن نصدق أنها سوف تختلف عن ذلك في النهاية ؟ ان التفرقة العنصرية
— سواء كانت جزئية أو كلية — هي في جوهرها سلاح في أيدي
أناس يملكون القوة في وجه أناس لا يملكون من مقوماتها شيئا •

ولكننا نرفضها بشكل أكثر تصميمًا لاننا نعتقد أن هدفها الباطل
سوف يرجى اليوم الذي يتقاسم فيه كل رجال جنوب أفريقية بالتساوى

واجباتهم وحقوقهم وأفراحهم فى أن يعيشوا فى بلدهم جنوب
أفريقية الى أكثر من ذلك • ومن الممكن أن نضيف الى ذلك أن
ما يسعى اليه هذا الهدف الوهمى ربما يرد بعض مفكرينا من أن
يمعنوا النظر فى المشكلة الحقيقية ، وهى خلق مجتمع مشترك فى
ظل ظروف بالغة الصعوبة •

ولدينا سبب آخر يجعلنا نعتقد أن التفرقة الكلية هى أمر خيالى؛
حيث أننا اذا ما افترضنا أننا استطعنا القيام بذلك ، فكيف ترقب دولة
البيض دولة غير البيض ؟ وهى تقيم تحالفات بينها وبين بلدان أفريقية
الأخرى وبلدان العالم ؟

وهذا يوضح مدى صعوبة المشكلة التى تواجهنا فداعية التفرقة
العنصرية يقول : أن فكرة المجتمع المشترك غير ممكنة • بل وحتى
تدعو الى الاشتراكية • على حين يقول رجل الأحرار أن التفرقة
كنوع من السيادة سيكتب لها الفناء ؟ وأن التفرقة الكلية لن ترى النور
على الاطلاق ؟ ولقد علمت من خلال تجاربى أن الداعية الى التفرقة
الكلية والذى يحدث بداخله صراع بين العقل والعاطفة على الدوام؛
يؤمن بحجة رجل الأحرار ؛ ويسوقنا الى مسألة أخرى جديدة ؛ وهى
أنه مادما لم نعرف بالتأكيد بعد ؟ هل كانت التفرقة الكلية أو الوحدة
هى الحل المرتقب ؟ فان مهمتنا أن نسير فى طريق التفرقة الكلية أكثر
من أن نسير فى طريق الوحدة ، وذلك لأننا نستطيع أن نرتد مرة
أخرى بعد التفرقة الكلية ؛ ولكننا لانستطيع أن نقوم بذلك فى حالة
الوحدة وهذه حجة مهمة ذات مغزى •

ومهمتى هي أن أضع بوضوح أمام القارئ المشكلات التي تواجهنا في طريق الوصول الى أى من هذين الهدفين * ومهمتى أيضا هي أن أبين أن هناك كثيرين من رجال جنوب أفريقية الذين يرقبون المستقبل بقلق بالغ - وذلك لأنهم يؤمنون باستحالة الوصول الى أى من الهدفين وسوف تكون مهمتى بعد قليل أن أجاهد من أجل مبدئى ؟ وهو أننا بينما نجد التفرقة الكلية مستحيلة ؟ فإن المجتمع الديموقراطى هو أمر لا بد منه ؟ الا اذا انطفأت أو خبت روح الديموقراطية فى هذا العالم * كيف نصل الى هذا المجتمع بالضبط ؟ وهل سنصل اليه من غير أن ندفع ثمننا باهظا مثل طرد معظم الناس البيض ؟ أو مواجهة كفاح مثل ذلك الذى يحدث فى الجزائر ؟ هذه هي الأسئلة الحقيقية *

توجد ثمت مشكلة أخرى فى طريق الوصول الى حل ديموقراطى يقوم على الحرية وعدم التمييز بين الأجناس * ان أحد الأسباب التى تدعونا الى تأييد حل الأحرار هو أننا نرى الخطر الناجم عن عدم اتفاق الجماعة * ولكن ازدياد عدم الاتفاق هذا يجعل حل الأحرار أقل احتمالا وأكثر صعوبة اليه * ويجب على قرائى الأعزاء أن يفهموا بوضوح أن الحكومة لاتوافق على اتحاد بين الجنسين أو بين الجنس نفسه ؟ فقد قامت باتخاذ بعض اجراءات غير مباشرة كى تجعل ذلك مستحيلا ولديها من القوة فى بعض الظروف ما تستطيع أن تقوم به لاتخاذ خطوات مباشرة أيضا * انها لاتريد أن تقول بجسامة « يجب ألا يكون هناك صداقة أو صلة بين شخص أبيض وآخر غير أبيض ؟ حتى يستطيع العالم أن يسمع ذلك ؟ ولكنها تشعر بقدرتها على أن تقول « أنت أيها الرجل

الأبيض ؟ لا تدخل هذه المنطقة ؟ لأنها مخصصة للسود ؟ حتى
يمكنهم أن يعيشوا بالاعتماد على أنفسهم ؟ دون أن يعوقهم أو يمنعهم
أى فرد من أية جماعة أخرى أو جنس آخر « وفى الحقيقة لم يكن
أى شخص أبيض يستطيع قبل أن تمسك الحكومة الحالية بمقاييد
السلطة بفترة طويلة - أن يدخل أى « مركز (١) بدون تصريح ؟
وإذا ما فكر أى شخص أبيض فى أخذ تصريح لرد الزيارة لشخص
أسود فى مكانه فقد كان ذلك يقابل بالاستنكار • وبمعنى آخر ؟ لقد
جعل تزايد التفرقة العنصرية الإجبارى ، من الصعب خلق وعى
بمشكلة الجنس ؟ يجب أن يقوم أى حل للمشكلة على أساسه •

ومن حسن الحظ فإن الطريق الى الأمام ليس مسدودا تماما •
فمكتب جنوب أفريقية لشئون الأجناس (٢) فى اجتماعه الأخير فى
ستيلنبوش قد ناقش موضوع التشاور بين البيض وغير البيض ؟
وقرر المناداة بعقد اجتماع مع الزعماء من غير البيض فى المستقبل
القريب - وذلك يتعارض بشكل مباشر مع سياسة الدكتور فيرورد
الذى أخبر الطلبة فى ستيلنبوش أنه يجب عليهم أن يتركوا مسألة
التشاور له ولأعضاء وزارته • ولقد سرت اشاعة قوية فى المؤتمر

(١) ولست أشك فى أن الدكتور فيرورد • إذا ما كان
يمسك وحده بزمام السلطة - لن يتردد فى سن قانون ينص على
«لا يدخل أى شخص غير أبيض منزل رجل أبيض ما لم يكن •
خادما •

(٢) مكتب جنوب أفريقية لشئون الأجناس ، هو منظمة غير
سياسية يساندها الى درجة كبيرة الوطنيون الذين يؤمنون
بالتفرقة العنصرية الكلية •

الوزراء والسلطة القضائية ؟ ولكن أيضا فيما يتعلق بالهيئات الوطنية.
فيه السلطات والاختصاصات ؟ ليس فقط فيما يتعلق بالبرلمان ومجلس
والمحلية ..

ولسوف نصل الى هذا الهدف بالتأكيد ما لم تنهقر قوى.
الديموقراطية في العالم . ويمكننا أن نصل الى ذلك باحدى طريقتين.
اما كنتيجة للعنف والثورة التي تعقبها سيطرة الجنس الأسود ؟ أو
بوساطة عملية تطور مذهلة . وبشكل تقريبي ؟ ليست المشكلة ببساطة
هي الاختيار بين الثورة والتطور ؟ انها ثورة أو تطور ثوري . واذالم
يقبل بعض القراء هذه اللهجة ؟ فمن الممكن أن نقول ان فرصة الاختيار
تكمين بين الثورة واستطور المذهل . وأنا لا أعرف رجلا واحدا من
الأحرار يعتقد بأن التغير سوف يحدث كنتيجة للتطور الهادىء
والمستقر . ويعتق هذا الوهم الغريب ؟ هؤلاء الذين يظنون أن التغير
سوف يستغرق آلاف السنين أو يجب أن يكون كذلك ؟ ويدافع عنه
على ما أعتقد هؤلاء الذين تعتمد مصالحهم على الاستقرار ؟ وهؤلاء الذين
يأملون ألا يروا مثل هذا التغير . وهذا هو الرأى السائد لأعضاء
الحزب المتحد .

وإذا ما قدر لنا أن نمر بتجربة ثورية عنيفة فمن الواضح على
ما أظن ؟ أنه لن يبقى أى تنظيم للأحرار بعد ذلك ؟ وربما لن يبقى
أى رجل حر . ولسوف أتناول بالكلام مهمة الأحرار وحزب
الأحرار فى فترة التطور الضخم وأنا أؤمن فى الحقيقة أننا قد دخلنا
هذه الفترة بالفعل ومهمة الأحرار بوضوح ؟ ليس فقط من أجل

الذى عقده المكتب أن الدكتور فيروورد قد استقال من المكتب ..
ولكن هذه الحقيقة لم تؤيد أو تكذب على أى حال .

والأكثر من ذلك؛ أن مكتب جنوب أفريقية لشئون الأجناس
سوف يستشير « الزعماء » الحقيقيين . وليست هذه الدمى ؟؟ التى
يستشيرها فيروورد . وأنا أعنى بالزعماء أناسا مثل الرئيس ليتولى
والبروفيسور ماتهوز هذان الرجلان اللذان اعتقلا فى ديسمبر عام
١٩٥٦ واتهما بالخيانة العظمى . وقد وصف البروفيسور دبليسيس
وهو عضو آخر من أعضاء المكتب ؛ مستشارى الدكتور فيروورد
بأنهم « مأجورون » وهذا هو الوصف المطابق لهم .

ومع ذلك ؛ ومهما كان ذلك يدعو الى الغبطة فمن المحتمل أن
تقبل الحكومة التشاور بين المكتب والزعماء من غير البيض أكثر من
أن تقبل التشاور بين الأحرار وغير البيض من الزعماء ؛ وذلك لأن
المكتب ينتهج سياسة التفرقة الكلية . ولا نستطيع ثم أن نستبعد احتمال
أن يطبق القانون بطريقة تسمح فقط بهذا النوع من الترابط بين
الأجناس .

نمت مشكلة أخرى يجب علينا أن نواجهها قبل أن نمضى فى
مناقشة مهمة حزب الأحرار فى الموقف الراهن . فكلنا يأمل فى أن
يصبح جنوب أفريقية - برغم الفترات العصيبة التى سيمر بها - بلدا
ديموقراطيا فى النهاية . ونحن نعى بذلك أن تقوم فيه النظم البرلمانية
على طراز حديث ؛ وأن يصبح له دستور ووثيقة للحقوق . وأن توزع

أنفسهم ، ولكن من أجل كل رجل في جنوب أفريقية أن يسعوا - بالتعاون مع الأفراد الآخرين الذين يفكرون بالطريقة نفسها- لتأكيد أن العملية لن يسمح لها بأن تدخل في طور من الفوضى والعنف ، من الممكن أن تفقد خلالها كل قيم الحرية ، وبدون ضمان يكفل الوقت الذي ترجع فيه هذه القيم مرة أخرى •

ولست هذه بالمهمة السهلة ؛ انها تشبه الى درجة كبيرة أن يطلب منك أن تقود عربة الى غاية الوصول بأمان وأنت تتحكم في توجيهها ولكنك لا تستطيع أن تتحكم في سرعتها •

الفصل الثامن

العمل داخل البرلمان وخارجه

لقد عارض حزب الاحرار فى جنوبى افريقية سياسة سيادة البيض بالتالى لأنها فاسدة أولا ؛ ولأنها كانت غير ممكنة أيضاً • وقد عارض سياسة التفرقة الكلية . لأنها كانت غير ممكنة أولاً ، ولأنها فاسدة أيضاً . وقد عارض الحزب أيضا سياسة الحزب المتحد ، التفرقة مع العدالة ، وكذلك فقد عارض الحزب الحل الثورى ، وذلك نظرا لطبيعته ، وكذلك لاعتقاده أن الثورة سوف تدمر الحريات الاساسية للمواطن •

وينظر الحزب الى نفسه كشريك ومؤيد لعملية التطور ، ويصر على امكانية احداث التطور ، ولو أنه لا يعتقد أن تكون العملية قائمة على أساس التخطيط التدريجى ، وفى الحقيقة يوجد هناك سبب سليم واحد لاعتقاده أن التخطيط التدريجى أمر مستحيل وهو أن الحزب الوطنى لن يهزم على الاطلاق فى الانتخابات مرة أخرى . وهذه الفكرة معروفة جيدا خارج الحزب الوطنى وداخله .

كيف يمكن فى ظل هذه الظروف ابعاد الوطنيين بالوسائل

البرلمانية ؟ والحقيقة أنهم ، شرعوا عن عمد في جعل ذلك مستحيلا لقد جعلوا جنوبى أفريقية ذا حزب واحد من الناحية القانونية والدستورية .

لقد أجبرت التحصينات الكبيرة التى قام بها الحزب الوطنى كل عناصر المعارضة على أن تعيد النظر فى استراتيجيتها . وكيف يعارض أى فرد حكومة أعطت لمؤيديها كل مميزات معقولة ، والتى يبدو ابعادها عن الحكم أمرا مستحيلا ، ما لم يقع حادث أو سلسلة من الاحداث التى تجبر البيض فى جنوبى أفريقية على مراجعة سياستهم ؟

لقد كان حزب الاحرار يقول دائما - عندما تواجهه هذه المشكلة ان له مهمة فى داخل البرلمان وخارجه حتى فى ظل هذه الظروف الصعبة والمهمة البرلمانية أو العمل داخل البرلمان هي أن يحاول الحزب أن يضع سياسته ومبادئه أمام كل الناخبين البيض فى القطر ، وأن يحاول اقناعهم بأن الفشل فى تغيير موقفهم لن يؤدى الا الى كارثة ، وأن يؤيد الاصوات التى تطالب بالعدالة وأن يكشف عن كل من الحماقة والخطأ فى سياسة التمييز العنصرى وأن يجمع بين الاحرار من الافريقين والهنود والملونين والاوروبيين فى الاجتماعات الانتخابية وذلك لكى يعطى الفرصة المستعمرين من البيض لكى يروا أن هذه القيم التى يخطئون عندما يعتبرون أنفسهم الحراس الوجددين لها ؟ الى النهاية ؟ هذه القيم

لأننا يساندوها أيضا من يعيشون معهم على أرض جنوبى أفريقية من
الأجناس الأخرى ؛ وكذلك الأخرى ؛ وكذلك حتى يطمثوا الى
أن الديمقراطية غير العنصرية هى الطريق السليم •

لقد كان حزب الاسرار يعلق أهمية كبرى دائما على حقيقة
أن باب العنصرية فيه مفتوح لكل فرد . والاتحاد بين الاجناس
بالنسبة لكثيرين من أعضاء الحزب ، يعنى تكوين قطر جديد ،
قطر جميل ومثير ، ومحفوف بالمخاطر . ومن المحتمل أن يصبح
أكثر خطورة ، وذلك بدون شك . لأن وزير الشؤون الوطنية
والآلاف المتعددة من مؤيديه ، يعتبرون الاتحاد بين الاجناس
شيئا غير طبعى ، يجب أن يحرمه القانون . والاتحاد السياسى
هو أسوأ هذه الافواع وذلك لأن هؤلاء الذين ينغمسون فيه
يعادون سياسة التفرقة العنصرية بصراحة ويفسد مشيرو الفتن ؛
من البيض أفكار المواطنين المعتدلين ؛ ويغنونهم بالأفكار التى
تقوض المجتمع المثالى والمنزل الذى يعمل من أجله الوزير .
وكما أوضحت قبل ذلك ، حظر الوزير فى ١١ ابريل من هذا
العام - عام ١٩٥٨ - التجمع لأكثر من عشرة أفراد من الافريقين
الا لاغراض غير ضارة معينة ، وقد علل ذلك ، بمنع العناصر غير
المسئولة فى الايام القليلة القادمة أو الاسابيع القادمة من القيام
باضطرابات فى العمل . وذلك بعقد التنبيه لفترة ما أى فى حالات
الضرورة فى المناطق المعينة . ومازال هذا التنبيه أو الاعلان -
وأنا اكتب الآن (فى ٢٢ يونيو سنة ١٩٥٨) - معمولا به وعلى

منظمى اجتماعات حزب الاحرار أو الاجتماعات الاخرى أن يقللوا من عدد الافريقيين الذين يحضرون هذه الاجتماعات ، أو أن يلغوها وعندما سأل الحزب سكرتير وزارة الشؤون الوطنية، عما اذا كان خطر اضطراب العمل ما زال قائما ؟ أجاب بقوله ان الوزير كان مشغولا جدا حتى أنه لم يستطع أن يعيد النظر في هذا الوضع . ومن المتوقع اذن أن تلغى الاجتماعات المختلطة تماما ان عاجلا أو آجلا ، ومن المحتمل أن يتم ذلك بشكل غير مباشر ، حتى يقول مكتب الدولة للاستعلامات للنقاد الاجانب ان هذه ليست الا حالة خاصة ؛ يمكن تصحيحها فقط وذلك على حساب الغاء القانون الذى يؤكد سعادة الملايين من غير البيض، والذين أعطوا فى النهاية مساحات منعزلة حيث ينعمون بالسلام وحيث يمكنهم أن يعيشوا حياة جميلة بلا قيود ، حياة خالية من كل معانى الاذلال والحرمان التى عانوها عندما أجبروا على الحياة فى مجتمع مختلط .

ونحن لا نتوقع اذن أن يكون مستقبل الاختلاط بين الاجناس ، وخصوصا فى المجال السياسى ، مستقبلا سهلا . فمن ناحية ، نجد أن الجواز الطبعية المحصنة لسياسة التفرقة تجعل ذلك صعبا ولكن الاختلاط بين الاجناس يوصف بالاضافة الى ذلك — ربما يقول البعض أنه قد وصف بالفعل بالخيانة . وقد وصف رئيس الوزراء معارضة سياسة التفرقة العنصرية

بهذا الاسم ؟ مما جعل الناس يخافون أكثر فأكثر من ارتباطهم بأى انحراف .

ان مثل الخيار بين ما يعتقد البعض أنه عادل وحسن ، وما يعتقد الآخرون أنه خيانة ، يستلزم اتخاذ قرارات حسيمة . ولكن يوجد هناك الأحرار ؟ وأنا أقول لن يوجد بينهم الإنسان الذى يستطيع أن يواجه فرصة الخيار بين الامتثال من ناحية وبين تأكيد حقوق الفرد فى أن يختلط بمن يريد وأن يختار تأكيد هذه الحقوق ، مهما أودى فى سبيل ذلك .

والآن دعنا نعود الى موضوع الاحرار والعمل البرلمانى أى الى محاولة ادخال ممثلين فى البرلمان ، حيث يستطيعون الوقوف بصلاية فى وجه سياسة الحكومة الحالية . لقد قبلنا ذلك كجزء من مهمتنا ، ولكن هناك مشكلة مهمة تبرز الى حيز الوجود بالتأكيد .

فنحن نأمل بدخول البرلمان أن تؤثر فى السياسة على الأقل ، وأن تؤثر فى تقدم جنوب أفريقيا فتحويل من دولة يسود فيها البيض الى دولة ديمقراطية لا تفرق بين الأجناس وعلينا اذن أن نجيب على السؤال التالى ، كيف نأمل أن نقنع البيض فى جنوب أفريقيا بأن يتنحوا عن موقفهم المسكون فيه بكل السلطة السياسية ، الى موقف يمارس فيه كل المسئولين من الشعب هذه السلطة السياسية ؟ ماذا نقترح كخطوة أولى ؟

لقد تهرب الحزب المتحد دائما من هذه المسألة بتصريحه أن السكان من غير البيض لا يهتمون بالانتخابات ولكن بالمأوى والطعام . وهذا حقيقى جزئيا ، ولكن هناك اعتراضين لذلك ، أولهما هو وجود ارتباط واضح فى جنوب أفريقيا بين القوة السياسية ومستوى المعيشة ، وثانيهما هو أن الزعماء من البيض يهتمون كثيرا بالحق الانتخابى حتى ولو كان البعض خائفها (مثل الخدم) من اظهار ذلك علانية ويرد كل من الحزب المتحد والحزب الوطنى على الاعتراض الثانى بقولهم ان الزعماء الاكثر قدما من غير البيض مثيرون للفتن ، وثانيا أنهم غير ممثلين . وتعتبر الحكومة كل زعماء المجلس الافريقى الوطنى رجالا غير ممثلين فى البرلمان .

ان مسألة حق الانتخاب فى الحقيقة هى أصعب المشاكل التى تواجه أى تنظيم سياسى لا يجد حلا لمشكلة التفرقة ، سواء كانت كلية أو من نوع الباسكاب .

كان على حزب الاحرار - بعد أن أعلن مهمته البرلمانية - أن يبدى رأيه فى مسألة الحق الانتخابى ، وكان عليه أن يفعل ذلك غداة تكوينه مباشرة ، عندما كان أعضاؤه لا يعرفون الا القليل عن بعضهم وعندما كانوا أعضاء يرتبطون ببعضهم بمعارضتهم للظلم أكثر من ارتباطهم المشترك لايجاد حل للامنة السياسية وأخيرا وفى عام ١٩٥٣ (بعد تكوين الحزب مباشرة) عزم الحزب على أن يضع حقا انتخابيا معيناً لا يعتمد على الجنس

أو اللون ، ولكن يعتمد على التعليم والملكية ، وأشياء أخرى .

رفض الجميع هذا القرار . لقد كانت هناك قلة تريد مؤهلا تعليميا كبيرا ، وكان هناك البعض ممن لا يريدون أى مؤهل على الإطلاق . ولقد قالت هذه الفئة الأخيرة فيما بعد ؛ اننا لا نواجه موقفا عاديا ، اننا في مفترق الطرق وليست المسألة هي الخيار بين نوع الرجل الذى نقبله كناخب ولكن نوع الرجل الذى نقبله كرجل . ان الافريقى لم يكن يبحث عن الناخب المؤهل . ولكنه كان يريد أن يعترف به كرجل من الآن والى الابد .

ومن ثم فقد أعلن الحزب فى عام ١٩٥٤ أن حق الانتخاب العام هو الهدف الذى يسعى اليه ؛ ولكنه استمر فى التسليم بأنه من الضرورى اتمام ذلك على مراحل فى خلال فترة انتقال ، وفى خلال هذه الفترة من الممكن أن تكون هناك الصفات التى يجب أن تطبق على أقل فترة لازمة للتحويل السهل الى حق الانتخاب العام للكبار ؟

وما زالت هذه السياسة تفرع كثيرين من الناحيين البسطاء لمجرد أنها لا ترضى الاشخاص الاكثر تطرفا (فى خارج الحزب وداخله) نظرا لما تحتويه من عبارات التأهيل .

ومع ذلك فما زالت هذه هي المعضلة التى لا مفر منها لحزب ناشئ فى قطر تسود فيه التفرقة العنصرية .

ويوجد هناك طريقان وحيدان آخران • أولهما هو التراجع إلى سياسة حذرة لتقديم امتيازات انتخابية للمؤهلين من غير البيض . وأما الطريق الثاني فهو أن تترك البيض في جنوب أفريقيا لتدبيرهم الخاص ، وأن تثبت وجودنا وحدنا دون تدخل البيض . ومثل هذا الطريق دون أن يتغير طبقا للاعتبارات الأخرى - لا يعجب الأحرار ؟ انه لا يعجب الأحرار البيض فقط ؟ ولكنه لا ينال رضا الأحرار من غير البيض . ونحن نسوى أنه نسير قدما مهما كلفنا ذلك من ثمن • وتطلع إلى جنوب أفريقيا الجديدة حيث تمثل كل جماعات السكان في أعمال الأمة ومجالها دون تمييز أو تفرقة .

وهناك الكثير مما يدعونا لافتراض أن غير البيض من سكان جنوب أفريقيا لن يقبلوا الانتخاب المشروط مرة أخرى على الإطلاق ؟ وأنهم سوف يقبلون حق الانتخاب العام فقط ، ودستورا مكتوبا يتضمن وثيقة للحقوق ويكون قابلا للتعديل فقط في ظل الظروف اللازمة .

لقد منحت مستعمرة حكمًا نيابيًا في عام ١٨٥٣ ، ولكن بحلول عام ١٨٨٧ جعل رودس من المستحيل بالنسبة للأفريقيين الذين يشتركون في ملكية الأراضي (أي الأفريقيين القبليين) أن يمارسوا حق الانتخاب . وفي عام ١٨٩٢ رفع رودس من شروط ملكية الناخب ، ووضع اختبارا لمعرفة درجة تعليمه . وقد وافق هوفابر على هاتين الخطوتين من قبل وفي عام ١٩٠٩ سافر

شيكر الى انجلترا لكي يحتج على الطريقة غير المرضية لحماية الحق الانتخابي لغير البيض في قرار الوحدة الجديدة ، وذلك حسبما صرح ؛ لأن أغلبية الثلثين المطلوبة لحدوث أى تغير لن تكون واقية على الإطلاق • وقد تحققت مخاوفه ، وذلك لأن الجنرال هوتزوج - فى عام ١٩٣٦ كما أشرت الى ذلك من قبل - استحوذ على أغلبية وأبعد كل الناضحين الافريقيين الى قائمة منفصلة ، وأعطى لهم حق انتخاب ثلاثة من البيض لمجلس النواب وأربعة آخرين لمجلس الشيوخ . وفى سنة ١٩٥٥ ، وفق المستر ستريجيدوم أغلبية الثلثين وذلك بزيادة عدد مقاعد مجلس الشيوخ على أسس غير ديمقراطية ليس لها مثل من قبل ، وعزل الناضحين الملونين الى قائمة منفصلة . وقد أذرت المصادر العليا قبل ذلك بأن الحكومة سوف تلغى فى الحال تمثيل الافريقيين فى البرلمان تماما . كيف نستطيع مرة أخرى أن نطالب فى عام ١٩٥٨ بحق انتخابى من ذلك النوع الذى منح فى عام ١٨٥٣ والذى أهمل تماما ؟ ليس من الممكن ذلك •

ان الخوف الذى يدفع الى ابتلاع هذه الحقوق غير مفهوم بالطبع ؟ انه الخوف من أن تؤدي المرونة أو الادارة من أى نوع الى غلبة السود عاجلا أو آجلا ، ومن ثم تعريض مقاييس حضارة المجتمع للخطر • ولكن المشكلة أبعد غورا من ذلك ؛ فالخوف هو أن تكتسح أغلبية من السود - والذين مهما كانوا متحضرين سوف يثأرون لاخطاء الماضى من جماعة البيض •

هل ستطالب أغلبية السود بالتأثر نتيجة لاختفاء الماضي ؟
وهل ستتحمل هذه الاغلبية سياسة القمع من المواطنين البيض ؟
من الممكن أن نجيب على هذا السؤال بتأكيد واحد ، وهو أن
أغلبية السود لن يكون لديها على الاقل الدافع الذي كان وراء
قوانين الكتب التي وضعها الوطنيون ، وهي الخوف من أن
يكتسحوا .

وهناك سؤال آخر : هل من العملي أو من المعقول في
الحقيقة أن نضع أمام الناخب الأبيض مثل هذا الهدف النهائي
كحق الانتخاب العام حتى ولو كان مشروطا ؟ وهل يجب ألا نضع
أمامهم برنامجا أسلم وأكثر تدرجا ، حتى تكون أمام أي شخص
فرصة أفضل للحصول على مقعد ، والتأثير في مجلس البرلمان ؟

وفي المجتمعات الاخرى يكون الطريق السليم بدون شك
هو أن نبعد الناخب عن الطريق الخطير وذلك بالوسائل اللطيفة
والتدريجية ؛ وليست جنوب أفريقيا مجتمعا عاديا ؛ وكذلك
لفليس هنالك الوقت الكافي لهذه الوسائل اللطيفة والتدريجية .
وكما أوضحنا من قبل ، ليست الفرصة هي اختيار بين الثورة
والتدرج ، ولكن بين الثورة والتطور المذهل .

هل سنكسب ؟ لا نعرف ذلك ؛ ولكننا مع ذلك نعتبر أن
تنظيم رأي الاحرار الآن سوف يجعل كلا من البيض وغيرالبيض
يؤثرون في النتيجة النهائية . ومن ثم فسوف نستمر في رسالتنا

طالما كانت لدينا القدرة على القيام بالمهمة البرلمانية . ومن ثم دعنا
نستمر في اعتبار المهام خارج نطاق البرلمان ، هذه الكلمة التي
ربما أضيفها ، والتي تفرع كثيرين من البيض في جنوب أفريقيا
بدون مبرر .

ولسوف أختتم هذا الفصل بملاحظة مقتضبة .. لقد جعلت
الحكومة الوطنية في جنوب أفريقيا من غير الممكن في الحقيقة
لأي معارضة أن تبعدها بالوسائل البرلمانية ؛ ولكنها بينما فعلت
ذلك تتظاهر بأنها تفعل ، وبمعنى آخر ، فإن الحكومة بعد أن
تأكدت أن هذه اللعبة البرلمانية خاسرة بالنسبة للمعارضة ، تصر
على أن تستمر في لعبها .

الفصل التاسع

دور حزب الإحزاب

ومن المعقول اذن أن كثيرا من النشاط السياسي في جنوب أفريقيا لا يمكن أن يكون برلمانيا تماما. فقد رأينا أن ما يقرب من ٨٠٪ من السكان ليس لديهم حق الانتخاب العادي ؛ وأن الحكومة تتوعد بإلغاء الحقوق الانتخابية التي يتمتعون بها - ان كليا أو جزئيا - ومن ثم فليس من المستغرب أن يوجه جل النشاط السياسي الى خارج البرلمان • وتريد أحزاب مثل الحزب المتحد ؛ والحزب الوطني أن يكون العمل السياسي داخل نطاق البرلمان ؛ وتتنظر الى أى شخص أو أى تنظيم يتكلم عن المهمة خارج نطاق البرلمان كشخص مخرب أو كتنظيم هدام • والأكثر من ذلك ففي استطاعتهم التمسويه على البيض في أى مكان آخر ؛ والذين يبدوون استغرابهم لعدم وجود غير البيض من الأشخاص في البرلمان ؛ وذلك بإقناعهم أن فارق اللون ليس نظاما كريها ؛ ولكنه حصن سليم للديموقراطية والحضارة •

وليست القومية الافريكانية الآن في مركز من القوة الكاملة التي تظهر من الناحية البرلمانية • فهي تقود وتؤيد نصف عدد البيض في القطر والبالغ عددهم ٥٠٠٠٠٠ ر ٣ ؛ وبجانب ذلك تحافظ

على الامتثال الاجبارى لـ ٠٠٠٠٠٠٠ ١١ من غير البيض ؟ بعضهم ليس لديه المام كبير بالسياسة ؟ ولكنهم يعرفون جيدا ماذا يعنى أن يساقوا ؟ فى بعض الأحيان بأدب ؟ وبمنتهى القسوة فى أحيان أخرى •

ومن سكان العالم الخارجى البالغ عددهم ٠٠٠٠٠٠٠ ٢٥٠٠٠٠٠ نسمة ؟ لانستطيع أن نجد أى تأييد للتفرقة العنصرية فى أماكن مثل كينيا ؟ والمسيبى ؟ والجزائر •

والقومية الافريكانية تخاف من عدم صلابة قبضتها • وحتى الآن ؟ وهى فى قمة قوتها ؟ ويعلن الوزير جان دى كليرك . وهو يتحدث فى برتس فى ٢١ يونيو عام ١٩٥٨ « يجب علينا أن نحارب حتى النهاية الأليمة وأن نساند المستر ستريجدوم » ويذكر المستر جان دى كليرك الافريكانيين دائما بالأ تفتر همهم •

وهذا الموضوع فقط معروف جيدا • فالقومية الافريكانية لا بد وأن يكون لها أعداء حتى ولو كانت تخاف منهم • ويجب ألا تشعر بالأمان مطلقا ؟ وذلك لأنها متكف حيثئذ عن اتباعها •

لقد قاد ذلك بعض معارضيه الى القول بأن القومية الافريكانية يجب ألا تعارض بشدة على الاطلاق ؟ لأنها ستتقلب حيثئذ وترد على أعدائها بشكل أكثر ضراوة • ومن الممكن أن تسمع هذه المناقشة فى كثير من دوائر المعارضة ؟ وحتى فى الدولة الأجنبية ؟ وكلها

تقول بأنه كلما كانت القومية الأفريكانية أكثر أماناً ؛ كلما أصبحت
أكثر لطفاً وتسامحاً •

وهذا رأى خاطيء على ما أظن • فالقومية الأفريكانية لن تشعر
بالأمان مطلقاً • فقوتها العظيمة تتبع فقط من عدم الشعور بالأمان •
ولهذا السبب لن يخف هذا الشعور بعدم الأمان ؛ وذلك لأن قوتها
العظيمة لن تكون كافية على الإطلاق • وأنا واحد من هؤلاء الذين
يؤمنون بأن القومية الأفريكانية - ليس لافتقارها الى الشجاعة ولكن
لحاجتها الى أن تصل الى ذروة القوة - لن تنهض في وجه أى صراع
حقيقى لسياسة الباسكاب التى تتبعها • وعليها - كما فعل الانجليز
فى الهند - أن تكيف نفسها حسب الظروف الجديدة - ومن ثم يجب
أن تعارض القومية الأفريكانية بثبات •

فالأحرار لا يرغبون مطلقاً فى تحطيم الأفريكانيين ؛ أو التدخل
فى لغتهم ؛ أو عدم مراعاة التقاليد والعادات التى لا تشمل طرد أناس
آخريين • وأمام القومية الأفريكانية درس صعب يجب أن تتعلمه ؛
إنها لا بد أن تعيش ؛ كما كانت تعيش فى الماضى ؛ من وحي قوتها
الذاتية • لا يفضل القوانين الوقائية التى تسنها • ونحن نتخيل فى
المجتمع الجديد أن ينال كل أفريكاني نفس الحماية لحقوق الانسان
الأساسية كما يمارسها أى مواطن آخر •

والأحرار يعارضون - كما ينظرون بعض الناس - الأسلوب
الخاص للقومية ؛ ولكنهم يعارضون تماماً أن تطبق الحكومة هذا
الأسلوب الخاص والذى يذهب حتى الى درجة تقريره « النوعية

«لخاصة» لأى شخص ؟ والتى تمنع فى أن يتعلم الطفل باللغة التى يرغبها والده • والأحرار لايتعارضون مع القومية الأفريقية لأنها تبحث عن ضمان بقاء الأفريكانيين ؟ ولكن لأنها تريد أن تفعل ذلك على حساب الجماعات الأخرى • ولسوف يتنكر الأحرار لمبادئهم تماما ما لم يعارضوا القومية الأفريقية كما تتمثل فى الحكومة الوطنية •

واليوم تحجم جماعات المعارضة فى جنوب أفريقيا عن أن تقول شيئا أو أن تفعل شيئا يكدر مشاعر الأفريكانيين ؟ وذلك لأن الناس المعتدلين حريصون دائما على تعميمات الجنس ؟ ولقوة حكومة الأفريكانيين الوطنية ولكن الوطنى الأفريكانى هو الذى يصر على أنه لا يختلف عن حكومته ؟ ولن يكون هناك مخرج لكى نتجنب هذه المسألة • فالوطنيون الأفريكانيون وحكومتهم مسئولون عن قوانين التفرقة التى يتسم بعضها بالصرامة وانقسوة • ولذلك يجب على كل محبى الحرية أن يعارضوهم ؟ ونظرا لقوة مركزهم فى البرلمان ؟ يجب معارضتهم بطرق أخرى •

ودور حزب الأحرار (والأحرار الآخرون الذين لايتمون إلى أحزاب) أن يعزوا فى كل جهة المعارضة ضد الوطنيين • ولا يعنى ذلك تكوين جبهة مشتركة موحدة ؟ ولكنه يعنى مشاركة فيما يتعلق بمعارضة سياسة التفرقة العنصرية • وماهى المعارضة الحقيقية التى يمكن أن توجه للوطنيين الأفريكانيين ما لم تكن هى معارضة

المدافعين عن الديمقراطية مهما كان جنسهم ولونهم ؟ وهنا نجد أن الحزب المتحد لا يستطيع على الإطلاق أن يعارض الوطنيين بشكل حقيقى لأنه لا يستطيع أن يدرك وحدة الدفاع عن القيم الديمقراطية والحرية التى يقوم بها البيض وغير البيض معا .

وبالرغم من هذه العوامل المتضادة ؟ فقد تقدمت قضية الديمقراطية التى تعتمد على الاختلاط بين الأجناس ؟ أو عدم الاختلاط بينها ؟ واتخذت صفة أكثر ثباتا فى السنين الأخيرة . لقد وجد هذا التعاون دائما ؟ ولكن بعض الناس يميلون الى التهمك على الحرية فى عهدا الأول ؟ مثلما يميل بعض الزنوج الامريكيين الى التهمك على بوكر واشنطن .

ومن رواد هذا المجال الحديث مجلس الديمقراطيين البيض - الذى أسس فى عام ١٩٥٢ - والذى أقام علاقات قوية مع المجلس الأفريقى الوطنى ومجلس هنود جنوب أفريقيا - ومنظمة الملونين ؟ التى تمثل فى مجموعها « حركة المؤتمر » ؟ وهذه الحركة كانت مسئولة عن عقد مجلس مؤتمر الشعب فى عام ١٩٥٥ . وقد أصدر هذا المجلس وثيقة الحرية ؟ وهى وثيقة لحقوق الانسان ذات صبغة ديمقراطية حقيقية ؟ باستثناء بعض نقط الخلاف التى تدافع عن تأميم الاراضى ؟ والبنوك وبعض الصناعات ؟ مما لا يقبله حزب الأحرار . ولقد كان عقد مجلس الشعب عملا يتسم بالشجاعة والاقدام ؟ وكان مسئولا جزئيا عن القاء القبض على كثير من الزعماء المشتركين بتهمة الخيانة العظمى ؟ فقد اعتقل ١٥٦ شخصا ؟ ثم أطلق سراح ما يزيد على

٦٠ منهم بعد الاجراءات الأولية ؟ وواجه ما يزيد على ٩٠ ٪ منهم المحاكمة ؟ التي بدأت في أغسطس عام ١٩٥٨ •

وقد رفض حزب الأحرار - بالرغم من دعوته في النهاية - حضور مجلس الشعب ؟ ولكنه غضب لاعتقال الزعماء ؟ وقد انضم رئيسه - أنا في ذلك الوقت - الى الشخصيات غير الحزبية مثل أسقف جوهانسبرج ؟ والقاضي لوكاس ؟ والدكتور الن هيلمان وذلك لجمع النقود اللازمة للدفاع عن المعتقلين •

واعتقد أنه من الضروري لكي نفهم بوضوح العلاقة بين حزب الأحرار ومجلس الديمقراطيين أن نقول شيئا عنهما ؟ اذ أن التعاون بينهما من أجل محاربة التفرقة يكون عاملا مهما • ومن الضروري أن نفهم أنهما يتبعان طريقين مختلفين مستقلين عن بعضهما ؟ وان حزب الأحرار قد أسس عندما كان مجلس الديمقراطيين موجودا بالفعل ؟ وهذا يبين أن كلا منهما يمثل ميولا مختلفة ونظريات اجتماعية مختلفة وأنا لا أنوي أن أتكلم في هذا الموضوع ؟ ولا أرغب في المفاضلة بين كل من الحزب والمجلس بقدر ما أرغب في توضيح العلاقة بينهما ؟ وذلك لأن كثيرين من المراقبين الأجانب لا يستطيعون وجود منظمين منفصلتين عن بعضهما يمثلان حسب رأيهم وجهة نظر واحدة وهناك ملاحظة عادلة في نظري ؟ وهي أن طبيعة موقف حزب الأحرار في حد ذاتها من أهم أسباب الخلاف الرئيسية ؟ فالمجلس أكثر تنظيما بينما الحزب يفتقر الى ذلك ؟ وللمجلس عقيدة أكثر وضوحا ؟ وهو

يخصص وقتا أقل للمناقشات والمباحثات ؟ والمجلس أيضا بفضل قوة الوحدة عن غنى الاختلاف • وينعكس هذا الاختلاف في النظرية الاجتماعية أيضا ؟ حيث أن المجلس يعلق أهمية على جهسار اندولة الكفاء ؟ بينما يعلق الحزب أهمية على حرية الفرد • ويعتبر بعض أعضاء المجلس تقديس الحزب للحرية كنوع من الحيلة والمحافظة ؟ بينما يعتبر بعض أعضاء الحزب أن المجلس ينظر الى تأييد حقوق الانسان كجزء صغير فقط من استراتيجية كبيرة • ولكن مما لا شك فيه أن كلا التنظيمين يكره التفرقة العنصرية ؟ ولكن أحدهما يريد القضاء عليها بتغيير جذري لبناء المجتمع ؟ والاخر بتوزيع السلطة ؟ وحماية حقوق الانسان • ويبدو أن هذه الاختلافات كانت سببا في قيام اختلافات معينة في الطباع ؟ تجعل من الصعوبة دائما المحافظة على التعاون الوثيق • ولكن من الواضح بالنسبة لي انه ما لم نداوم على هذا التعاون فسوف نعاني من أجل الوصول الى الهدف المشترك الذي يعمل كلانا باخلاص من أجله • ويمكنني أن أضيف ملاحظة أخرى وهي أن المجلسين الأفريقي والهندي قد استطاعا توثيق الصلة بين مجلس الديمقراطيين وحزب الأحرار بشكل أكثر سهولة مما لو أمكنهما القيام بذلك لأنفسهما ؟ وأنا أعزو ذلك الى حقيقة أن مجلس الأفريقيين والهنود يتضمنان وجهات نظر عديدة • وهم يضعون كثيرا من الجهد للتوفيق بين العناصر المختلفة من أجل الهدف المشترك •

ونحن لا نستطيع كذلك أن نسدل ستارا على هذه الحقيقة ؟ وهي أن حزب الأحرار قد دخل الميدان بعد مجلس الديمقراطيين ؟

وقد سبب ذلك فى حد ذاته بعض المتاعب ؟ فقد قالوا : لماذا وصل الحليف الى المعركة متأخرا ؟ ولماذا أحضر معه شعاعا آخر عندما أتى ؟ •

وكيفما كان الأمر فقد كان السؤال كالاتى : -

هل يمكن التعاون بين الأحرار ورجال المجلس من أجل نفس الهدف ؟ محاربة التفرقة العنصرية ؟ ولقد أسرعت عجلة السير فى طريق هذا التعاون وذلك بعقد مؤتمر للأفريقيين البارزين فى بلو مفوتين فى أكتوبر سنة ١٩٥٦ ؟ وذلك من أجل مناقشة تقرير توملينسون ولقد أقر هذا المؤتمر الشهير بعض المستندات المعروفة ؟ وأستطيع أن أقتبس منها الاتى : -

« ان المؤتمر لا يقبل وجهة النظر القائلة بأن الفرصة أمام جنوب أفريقيا هى اما « التكامل التام والنهائى » أو « التفرقة التامة والنهائية بين الأوروبيين والباثو » (مقتطفات من تقرير توملينسون) ويصر المجلس على أن الموقف فى جنوب أفريقيا يتطلب التعاون والترابط بين مختلف الأعجناس التى تكون أمة جنوب أفريقيا ؟ ويستنكر أن تمثل هذه المساواة تهديدا لبقاء الرجل الأبيض فى جنوب أفريقيا • •

ثم يضيف الى ذلك :

« والمؤتمر مقتنع بأن السياسة الحالية للتفرقة انما تكون تهديدا للعلاقة بين الأجانب فى القطر • ومن ثم ؟ فإن المؤتمر - من أجل

كل أفراد الشعب ومن أجل مستقبل قطر - يطالب كل المنظمات الوطنية بأن تجند كل الناس ، بصرف النظر عن الجنس ، أو اللون ، أو العقيدة ؟ لتكوين جبهة متحدة ضد التفرقة ؟

وكخطوة أولى في طريق تكوين هذه الجبهة المتحدة ، أقترح المؤتمر عقد مؤتمر آخر ؟ يتضمن كل الأجناس بقدر المستطاع .

ومنذ هذا الوقت عمل حزب الأحرار ، والمجلسان وغير المجلسين ؟ وحزب العمال ؟ والأحرار غير الحزبيين ؟ ورجال الكنيسة البارزين من أجل عقد مؤتمر يضم كل الأجناس ؟ وقد تم ذلك في جوهانسبرج في ديسمبر سنة ١٩٥٧ . ولقد انصب اهتمام المؤتمر طوال فترة انعقاده على تعدد الأجناس في قطر ؟ وظلم وسخافة سياسة التفرقة ؟ وأهمية الدستور المكتوب ؟ ووثيقة الحقوق ؟ والحق الانتخابي لجميع المواطنين .

ان التأييد الكامل لمؤتمر جميع الأجناس هو جزء من سياسة حزب الأحرار . والحزب يعرف أن مجتمعنا لا يفرق بين الأجناس وهو المجتمع الوحيد الذي يقدم لنا أمل المستقبل ، حيث يكون هناك دستور يضمن حقوق الإنسان الرئيسية . ومن ثم فسوف يعمل الحزب جاهدا من أجل تأييد مؤتمر جميع الأجناس ؟ وسوف يكون تأييده لحركة المجلس مغبرا عنها بهذه الطريقة ، أو بأي طريقة أخرى تؤيد نفس هذه المثل .

ولسوف تكون سياسة الحزب أن يقدم كل تأييد ممكن للمجلس

الأفريقي الوطنى الذى وعد بالعمل من أجل مجتمع ديمقراطى
لا يفرق بين الأجناس • وهنا أجد من المناسب - ولسوف أتحاشى
هنا أى مناقشة ليست فى محلها للشئون الخاصة بتنظيم صديق - أن
أناقش بإيجاز المشكلات التى تلازم مثل هذا التنظيم •

فالمجلس الأفريقى الوطنى تنظيم غير حزبى ؟ ومن ثم فانه
يحتوى على الأقل اتجاهات فكرية ثلاثة • فالأول يؤمن بأن
التغيير الجذرى للمجتمع هو الطريق الوحيد ؟ والاتجاه الثانى يؤمن
بالتوسع فى اعطاء الديمقراطية لكل شخص بالغ وحماية هذه
الحقوق ؟ بينما يعارض الفريق الثالث انقومية الأفريكانية وينادى
بالقومية الأفريقية ؟ وهذا يعنى « أفريقيا للأفريقيين » ومن الممكن
تفسير ذلك بأن أفريقيا هى ملك لهؤلاء الذين عاشوا على أرضها قبل
قدوم الأوروبيين والآسيويين ! ولا يستطيع رجل حزب الأحرار
أن يوافق إلا على الاتجاه الثانى فقط ؟ ومن ثم فسوف تكون مهمة
الحزب ؟ ألا يحاول أن ينال من المجلس ؟ بل أن يوجه تأييده الكامل
لهؤلاء الذين ينادون بالتوسع فى الحقوق الديمقراطية • وهذا هو ما
فعله الحزب بالفعل •

ولسوف يجد الحزب صعوبة فى تأييد الحزب المتحد ؟ أو حتى
الحزب الاتحادى ؟ إلا فى مسائل معينة • فحقيقة أن هذين الحزبين
يؤمنان بفارق اللون ؟ يجعل التعاون الوثيق معهما أمرا صعبا • وزيادة
على ذلك فإن الحزب الاتحادى ضد النظام الجمهورى ؟ وهو يعتقد

بأن معارضة قوية من قبل الناطقين باللغة الانجليزية من أتباع ناتال
تستطيع أن تمنع قيام النظام الجمهورى •

وموقف حزب الأحرار بالنسبة للنظام الجمهورى صريح ؟ فهو
يتمسك بأن النظام لن يوجد الا بعد القيام باستفتاء لمعرفة رأى الاغلبية
بصرف النظر عن الجنس واللون ؟ وهو يعارض كل أشكال الحكومات
المستبدة ؟ وعلى الأخص حكومة جمهورية كتلك التى تخيلها أو
رسمها مشروع الدستور الذى وضع فى عام ١٩٤٢ ؟ والذى وضعه
الحزب الوطنى • وفضلا عن ذلك فان موقف حزب الأحرار تجاه
الكومنولث صريح هو الآخر • فهو يصر على « أن من صالح جنوب
أفريقيا كدولة مستقلة ذات سيادة أن تحافظ على علاقاتها مع
الكومنولث • • »

ومن ثم فان موقف حزب الأحرار تجاه الحزب الاتحادى
صريح للغاية ، فهو يؤيد الحزب الاتحادى فى معارضته للنظام
الجمهورى ؟ ليس لأنه يعارض فى اقامة الجمهورية ؟ بل لأنه يعارض
اقامة جمهورية تفرق بين الأجناس كتلك التى يريد بها الحزب الوطنى
وكذلك فان موقف الحزب تجاه الحزب المتحد صريح هو الآخر •
انه يأمل أن يجذب الى صفوفه الأعضاء الأحرار من هذا الحزب •

ولقد توطدت علاقات حزب الأحرار مع المجلس الهندى أكثر
فأكثر ؟ وذلك الى درجة كبيرة كنتيجة لمعارضة الحزب الثامنة
ولقبوله جماعة الهنود كمواطنين فى جنوب أفريقيا بكل ما فى ذلك

من معنى • وأنا لا أشك في أن معارضة مجلس الديمقراطيين أقل اخلاصا ، بل على العكس لقد أثبت مأزق جماعة الهنود أنه من أقوى العوامل التي ربطت الحزب بمجلس الديمقراطيين •

لقد كانت هزيمة المستر انكس هيل والمستر ليولد فيل ؟ مرشحى حزب العمال في انتخابات عام ١٩٥٨ ؛ لطمة كبيرة موجهة لقضية الأحرار • ونحن نرغب في أن تكون هناك علاقات أوثق ؛ ولو بشكل ائتلافي ؛ بين الأحرار والعمال ؛ ونحن نعتقد أنه من الممكن أن يفيدونا في الشئون الاقتصادية ؛ كما نعتقد تقريبا - وأنا آمل بتواضع - أن لدينا اقليل مما نستطيع أن نقدمه بفضل معارضتنا التامة لسياسة التفرقة العنصرية • لقد كان احترامنا لأعضاء حزب العمال البرلمانيين لاحدود له ، ولكنهم يبحثون على ما يبدو على حلول أكثر واقعية ؟ ويجب عليهم أن يبحثوا عن ذلك على أساس المعارضة التامة لحاجز اللون ؛ وينبغي عليهم أن ينضموا إلينا وأن يضيفوا الى قوتنا مواهبهم العظيمة •

ثمة تنظيم آخر يجب أن نذكره ؛ وهو حركة الوحدة لغير الأوروبيين ؛ وهو يضم الملونين الى درجة كبيرة ؛ والسبب عارض بدوره - تحت تأثير الرفض الذي لا حصر له - أي تعاون مع المنظمات التي ترتبط بالبيض ؛ والتي يحاول أعضاؤها التمسك بما يبدو مستحيلا تماما في جنوب أفريقيا ؛ ألا وهو الابتعاد تقريبا عن كل نشاط انساني ؛ الا ذلك الذي يمكنهم المساهمة الكاملة فيه •

وينادى هذا التنظيم بالمقاطعة على نطاق كبير • ولقد امتدت معارضة
هذا التنظيم الى المجلسين أيضا ؟ فقد عرقلوا بغضب حملة مجلس
الهنود ضد التفرقة العنصرية ؟ وذلك لأن المجلس تعاون مع الأحرار
ولكم أود أن يخرج هذا التنظيم عن عزلته المريعة ؟ وأن يتعاون مع
كل القوى الأخرى التي تناضل ضد الحزب الوطنى •

الفصل العاشر

الخاتمة

إذا كان ولا بد أن نخرج بنتيجة من هذه المقالة فستكون الآتى : هو أنه لا يوجد شىء ثابت فيما يتعلق بالموقف السياسى فى جنوب أفريقيا . فهناك فترات من الهدوء الظاهرى ، الذى يثور تحته هدير شديد ، يسير فى هذا الاتجاه وذلك بواسطة كثير من التيارات المتعارضة . وتكمن مصادر هذا الهدير وتياراته المختلفة فى التاريخ البعيد لسكان جنوب أفريقيا . وكما أكدت قبل ذلك أننا لا نستطيع أن نفهم جنوب أفريقيا فى الوقت الحاضر وأن نضع لهذا البلد المستقبل مالم نعش فى آثار هذا الماضى .

ماهى ملامح هذا المستقبل ؟ لا يستطيع أى فرد أن يخبرنا بذلك . وبالنسبة لاي شخص ذى عقيدة حرة سيكون هذا المستقبل مشرقا ؟ اذا ما أدى الى خلق مجتمع ينعم فيه الناس بالحرية ويضمنون فيه أن تصان كل هذه الحقوق التى تتعلق بحياتهم اليومية . كيف سيحاول الأحرار ارشاد جنوب أفريقيا الى هذا المستقبل المرموق ؟ .

سيكون عليهم اقناع البيض الذين يعارضون الحكومة

الوطننة بأنه ليس لديهم أمل مهما كان ؟ فى هزيمة هذه الحكومة بمجرد معارضتها كل خمس سنوات فى انتخابات تعرف نتائجها مقدما فمن الممكن التغلب على الوطنيين فقط بواسطة معارضة كبيرة ومنظمة لا تعتمد على الجنس . ومثل هذه المعارضة هى التى تستطيع أن تجمع كل من يعادى الوطنيين .

ويجب أن يذكر البيض فى جنوب أفريقيا دائما بحقيقة أنهم من الممكن ألا يتوقعوا مركزا ممتازا لاولادهم فى المستقبل . وأكثر ما يخيفهم هو أن تدور العجلة دورة كاملة ، وأن تستبدل سيادة البيض بسيادة السود . وكيفما كان الأمر فانهم يجب أن يضيفوا على حقيقة ان عنادهم فى الوقت الحالى هو من أكثر الاسباب احتمالا لما يخافون منه فى المستقبل وعليهم أن يعرفوا أن هناك كثيرا مما سيجنونه أكثر مما يحتمل أن يخسروه اذا ماتخلصوا من حاجز الجنس من الآن والى الابد . وعلى عاتق الأحرار تقع مهمة رد هؤلاء الناس الى صوابهم .

وعلى حزب الأحرار أن يقنع سكان جنوب أفريقيا من البيض والسود - بأن الديمقراطية التى لا تفرق بين الاجناس هى مطلب عملى من الممكن أن يؤخذ به . وعلى هذه الديمقراطية أن تواجه حكومة سياستها أن تزيد من صعوبة الاختلاط بين الاجناس وترغب فى أن تجعل الاتحاد السياسى بين الاجناس أمرا مستحيلا . فالاختلاط بين الاجناس بالنسبة للدكتور فيروورد

أمر محسوم • ولكنه بالنسبة لرجل الأحرار العماد الاساسي للمجتمع الذي يعرف جيدا أنه لابد وأن يولد في جنوب أفريقيا اذا أمكن تجنب الصراع • وكل ما يأمله رجل الأحرار هو أن يكون مستعدا لان يواجه هذا الصراع عندما يحل . وذلك لان الفرصة لاجراج الوطنية الأفريقيين - اذا لم يكن مستعدا - من مجاهل التفرقة العنصرية المظلمة والكثيثة الى الرحاب الواسعة المضيئة لتعدد الأجناس ؟ سوف تضيق ؟ وسوف يضع الامل لاحداث تطور مذهل في جنوب أفريقيا وعندئذ ستكون الثورة هي الطريق الوحيد .

لقد قلت ان الأحرار في جنوب أفريقيا لا يستخفون بالصراع الذي يواجههم • وقد قلت ان بقاء القيم الأساسية التي تسمى في بعض الأحيان بالقيم المسيحية ، في جنوب أفريقيا وربما في المناطق الأفريقية التي توجد تحت الصحراء انما يعتمد على قدرتهم على مواجهة هذا الصراع - ولكن الصراع لا يقتصر فقط على الأحرار في جنوب أفريقيا . انه يواجه كل رجل يعيش خارج جنوب أفريقيا يقدر نفس هذه القيم وعلينا أن نعمل ما في جهدنا لمساعدة هؤلاء الرجال في جنوب أفريقيا والذين يكافحون اليوم لشق طريقهم الى مجتمع تكون فيه الباسكاب والتفرقة من مخلفات الماضي قالى جانب كيفية حل مشكلة الاجناس ، تمتاز جنوب أفريقيا بموقعها الاستراتيجي ومصادرها الغنية بالمواد الخام الحيوية ، وسوف يحكم زعماء المستقبل في جنوب أفريقيا

على رجال العالم الخارجي على أساس نظرتهم الى هذا الصراع في
السنين القليلة القادمة وليفهم الغرب ذلك جيدا •

من هذه الخلاصة اذن نرى دور حزب الاحرار ، كمؤيد
لجبهة تعدد الاجناس وعدم التفرقة بينها كشريك لحركة المؤتمر
في كل معارضة للتفرقة العنصرية ... كمؤيد لكل هؤلاء الذين
يؤمنون بالديموقراطية التي لا تقوم على أساس الجنس ؟ كفاخصيح
لخرافة أو أسطورة التفرقة الكلية ؟ كميلاد للأحرار الذين طردوا
من الحزب المتحد ؟ كمؤمن بإمكانية حدوث التطور ، كمعارض
لكل أشكال القومية المحدودة ؟ كمؤيد للحكومة الدستورية
ولحكم القانون ؟ وفوق كل ذلك باعتباره مدافعا عن الشعب ضد
الاستئثار بالسلطة ، ومدافعا عن حقوق البشر التي يكافح من
أجلها الأحرار في كل بلاد العالم •



١٥٧ شارع عبید - روض الفرج
تلیفون ٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ - ٤١٠١٢ - ٤٥٣٤٦

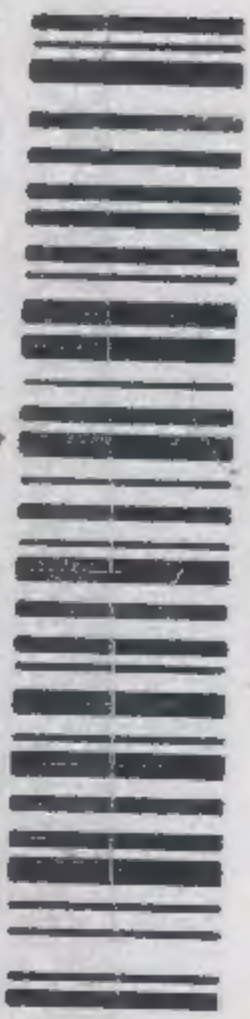


١٥٧ شارع عبید - روض الفرج
تليفون : ٤٠٥٨٨ - ٤٠٨١٤ - ٤٠٧٥٣ - ٤١٠١٢

الثمن ٣ قروش

العدد ٢٨٠

Bibliotheca Alexandrina



0696449